حركة العلم والتعليم في ولايات الهند الإسلامية
في عهد الدولة الغزنوية (القرن الرابع والخامس الهجري)
دراسة تاريخية

د. فاطمه علي السعيد حمده*

٣

حركة العلم والتعليم في ولايات الهند الإسلامية
في عهد الدولة الغزنوية (القرن الرابع والخامس الهجري)
دراسة تاريخية

د .فاطمه علي السعيد جمعه*

المقدمة

كانت منطقة الهند الإسلامية ومازالت من المناطق الهامة في العالم ، وتشغل تلك المنطقة الآن بلاد الأفغان وكشمير والهند ، والتي تستحوذ على اهتمام العالم بعامة ، والإسلامي بخاصة ، حيث يسكن شبه القارة الهندية حوالي مائتي مليون مسلم ، يتجاورون مع مسلمي أفغانستان "خراسان سابقا "ويعيشون دائما حالة صراع سياسي ونشاط ديني ، غيرت مجرى التاريخ المعاصر .

وكانت تلك المنطقة من أهم مناطق الدولة الإسلامية ، حيث راجت التجارة ، وربطت بين الشرق والغرب ، لذا أسماها المؤرخون "إقليم الذهب والخيرات والعقاقير "كما تعد الثقافة الهندية من أقدم الثقافات الإنسانية ، لذا كانت مصدرا هاما للعلوم والحضارة ، إلا أن الحواجز السياسية واللغوية حالت دون استفادة المسلمين كثيرا من هذه العلوم ، وبخاصة أن السفر في تلك العصور كان محفوفا بالأخطار والأهوال ، ووضعت الحكومات الصعوبات والضرائب أمام المسافرين .

وبدأ التبادل العلمي والثقافي بين المسلمين والهنود في بداية الدولة العباسية ، حيث نشطت حركة الترجمة وتكون عند المسلمين خلفيات واضحة عن التقدم العلمي لدي الهنود ، وبخاصة العلوم العقلية ، والتي افتقدها العرب في بداية الدولة ، لذا انتقل العلماء للهند ، واستقدموا منها الأطباء والرياضيين ، ولم يمنع اختلاف الدين الاستعانة بهؤلاء القوم .

ولكن التواصل الفعلي لم يبدأ بعمق إلا في عهد الدولة الغزنوية ، التي اتجهت بنشاطها نحو الهند ، وعدها العلماء دولة هندية خالصة ، شغلت منطقة شمال غرب الهند بأكملها ، ودخل الهنود الإسلام ، وعاش المسلمون والهنود سويا ، تجمعهم ثقافة واحدة ، وظروف سياسية واجتماعية واحدة .

وامتد هذا النشاط إلي الجانب العلمي ، حيث واكب الفتوحات الغزنوية حركة علمية إسلامية ، وانطلق الهنود والمسلمون في مشاركة علمية شغلت اهتماماتهم ، وبدأت هذه النهضة تدريجيا ثم اتسعت دائرة تأثيرها بعد ذلك ، فقد كانت أحد توابع الإرهاصات العلمية الكبرى في القرن الرابع الهجري .

---

*مدرس أصول التربية ، كلية التربية النوعية ، جامعة عين شمس .

وعلي الرغم من أهمية هذه المناطق الثغرية ، لم يحظ مجال التعليم بها بدراسات وافية ، فقد تمركزت الدراسات على الدولة العباسية ذاتها ، ولم تهتم بتلك المناطق البغيدة ، لذا لم تلفت نظر المتخصصين ، ومازالت أخبار التعليم في تلك الولايات في طى الخفاء ، نكاد لا نقرأ عنها لدي المشتغلين في تاريخ التعليم ، وبخاصة أن الهنود أنفسهم أسهبوا في إحياء مآثر الملوك والأمراء والشعراء ، ولم يتصدوا لأخبار العلماء والمتعلمين .

لذا اختارت الباحثة موضوع الدراسة الحالية التي تتناول حركة العلم والتعليم في تلك المنطقة ، وكيف تأثرت بالاتجاهات السياسية والدينية ، ولعلها تسهم إسهاما متواضعا في هذا المجال .

موضوع الدراسة وتساؤلاتها

تتناول الدراسة الحالية حركة العلم والتعليم في ولايات الهند الإسلامية ، خلال مرحلة محددة هي فترة الحكم الغزنوى لهذه الولايات ، وهي فترة تفاعل علمي وثقافي ، تقاربت فيه العربية مع الفارسية مع الهندية ، فأختصرت الطرق أمام المسلمين الذين تطلعوا بشغف لعلوم الهند وفلسفتها منذ زمن بعيد ، ولم يجدوا ضالتهم إلا في الكتب المترجمة ، التي اعتبروها المصدر الوحيد لهذه الثقافة المجهولة لديهم .

وتعطي هذه الدراسة صورة للتطورات العلمية والتعليمية في مناطق الهند الإسلامية ، حيث تحرر الهنود من دياناتهم ، ودخلوا الإسلام علي نظم وأسس جديدة عليهم ، فاتجهوا بقدر متزايد نحو العلم والتعليم ، وأدى ذلك إلي حركة ملموسة ، ظهرت في مراكز تعليم ومناهج جديدة ، وغير ذلك.

وتتحدد الدراسة الحالية بحدود خاصة ، حدود لا تغرق في التاريخ وأحداثه إغراقا تاما ، ولكنها تشمل مزيجا من الأحداث التاريخية ، والجوانب التعليمية والحضارية ، وكيف انعكس ذلك علي شخصية المتعلم ، أي أن الدراسة تتناول حركة التعليم ، موضحة التأثيرات المتبادلة ، بينه وبين الجوانب الدينية والثقافية وغيرها .

ومن المهم أن نوضح أن الحركة العلمية في تلك المناطق مرت بمرحلتين :الأولي تسمي "المرحلة العربية "حين فتح العرب منطقة السند "باكستان الحالية "حيث افتتح بها مدرسة " السند الإسلامية "فجذبت العديد من علماء الدين واللغة والعلوم الطبيعية ، ومع أنها مرحلة غامضة ، إلا أنها كانت نواة للمرحلة الثانية ، التي تتناولها الدراسة الحالية وهي "المرحلة الطورانية "

تقتصر الدراسة إذن علي المرحلة "الطورانية "التي بدأت مع الفتح الغزنوي ، وحمل المسلمون من عرب وترك وأفغان الثقافة الإسلامية إلي شمال غرب الهند ، فحدث الأندماج ما بين حضارة الهند العريقة والثقافة الإسلامية الوافدة ، وساعدت اتجاهات الغزنويين الهندية الخالصة

علي انبعاث النشاط التعليمي ، حيث اعتمدوا علي الهنود في العديد من الوظائف الهامة وغير الهامة ، فأقبلوا علي الرافد التعليمي الجديد ، حتى يضمنوا تلك الوظائف ، التي وصلت في أحيان كثيرة لمستوي الوزارة وقيادة الجيش ، فتطور التعليم في تلك الفترة مدفوعا بالعوامل السياسية والدينية ، التي هيأت مجالاً تعليميا لم يسبقه إلا إقبال الفرس على التعليم الإسلامي .

وتدور الدراسة في عدة محاور أساسية تختلط حينا ، وتنفصل حينا آخر ، وتتضح هذه المحاور في عدة تساؤلات هي :

- ما دور الغزنويين في نقل الثقافة الإسلامية لولايات شمال غرب القارة الهندية ؟
- ما أهم مراكز التعليم في تلك البلاد ؟
- إلى أي مدى نجحت اللغة العربية كلغة للتعليم ؟
- ما مناهج التعليم في تلك الولايات ؟
- إلى أي مدى توافقت العلوم العقلية مع العلوم الشرعية ؟
- ما إنعكاسات الدراسات الإسلامية على الشخصية الهندية ؟
- ما طبيعة المناخ التعليمي السائد آنذاك ؟

أهمية الدراســـة

تستلفت الدراسة الحالية الانتباه لموضوع مجهول من تاريخ التعليم ، وتظهر المعالم التربوية في تلك المنطقة ، وما صاحبها من ثراء فكري وأدبي ، حين دخل الجنس الهندي كرافد جديد ، مقدما ما لديه للثقافة الإسلامية ، ومستفيدا منها في آن واحد .

وتتضح أهمية الدراسة ، حين نعلم أن التاريخ الحربي والسياسي لتلك الفترة قد حاز جهدا كبيراً من المتخصصين ، بينما نفتقر إلي دراسات تربوية أو اجتماعية عن تلك المنطقة ، لذا توضح الدراسة إلي أي مدى تمكن المسلمون من التقدم العلمي في تلك البلاد ، وهل واكبت الحركة التعليمية الحركة العسكرية .

وتضيف الدراسة الحالية لبنة جديدة لمئات الأبحاث التي تناولت التعليم في منطقتي العراق وفارس ، حيث تمركزت الدراسات حولهما ، لما وصلتا إليه من مستوي علمي رفيع ، جذب الانتباه عما سواهما مع ضرورة توضيح الفارق بينهما وبين منطقة الهند الإسلامية ، فحين وضعا جذورهما العلمية منذ بداية الدولة العباسية ، نجد الثانية وليدة جديدة ، تأثرت بالحركة العلمية لدي المسلمين بعامة ، لذا يواجه الباحث في تاريخ التعليم بالهند ندرة المصادر والمراجع التي تهتم بهذا الموضوع ، مقابل كم وفير تناول التعليم في الدولة الإسلامية ، وبخاصة العراق وفارس .

وتتطرق الدراسة لجانب هام يتصل بحركة العلم والتعليم وهو انتقال الثقافة الإسلامية من المسلمين للهنود ، فقد تباينوا في الكثير من جوانب الحياة ، حتى يذكر أنهم كانوا منعزلين عن المسلمين ، يتخوفون منهم ، ويرهبون بهم الأجيال الجديدة (١) وفجأة تنفتح تلك البلاد علي ثقافة ولغة جديدة ، فتبادلوا التأثير والتأثر ، ولعبت الدولة الغزنوية الناشئة دوراً هاماً في ذلك ، حيث فرضت الثقافة والعلم الإسلامي ، بالترغيب حينا ، وبالترهيب حيناً آخر ، حتى تهافت الناس على العلوم بشتى أنواعها ، ونشطت حركة الترجمة ، ووصلت لذروتها في القرن الرابع الهجري .

حدود الدراســــة

أ) الحدود البشرية " التعريف بالغزنويين "

استقرت فكرة الانفصال عن الدولة العباسية في ذهن الفرس ، ولم ينجح أحد في انتزاعها منهم ، وبخاصة مع ضعف خلفاء بني العباس ، وعجزهم عن حل المشكلات التي تراكمت لديهم ، فانفصل عنهم العديد من الدويلات بعضها تام الاستقلال ، والبعض يتبع الخلافة وقامت جميعها في المشرق الإسلامي ، وهو المنطقة المنحصرة بين شرقي نهر دجلة إلي حدود ما وراء النهر ، ويعد إقليم خراسان " أفغانستان الحالية " أهم أجزائه علي الاطلاق ، وتعد الدولة الغزنوية من أقوي هذه الدويلات ، حيث قامت علي أطلال سلفها من الطاهريين والصفاريين والسامانيين .

والمؤسس الأول للدولة الغزنوية هو " سبكتكين " والي مدينة غزنة من قبل السامانييــــن ، و الذي استقل بها عام ٣٦٦ هـ " ٩٧٦ م " ثم توسع في نفوذه حتى سيطر علي إقليم "خراســـــان " و" بست " و " هراة " و " سجستان " وشرع في غزو مناطق الهند المجاورة لدولته ، وأسس بها حكومة في إقليم " بيشاور " عاصمة الأفغان ، فكانت أول دولة إسلامية في جنوب غرب الهند (٢)

وينسب الغزنويون إلى مدينة غزنة أو " غزنين " وهى ولاية في أطراف خراسان ، على حدود الهند ، اشتهرت بصحة الهواء ، وعذوبة الماء ، وجودة التربة ، شديدة البرودة ، الأمراض بين أهلها قليلة ، وأعمارهم طويلة (٣) . وتحولت تلك المدينة من ولاية متطرفة نائية تخضع لحكم السامانيين ، إلى قوة مؤثرة في التاريخ الإسلامي ، دولة قوية الهيبة ، ممتدة النفوذ ، واتخذت من الفارسية لغة وثقافة .

ودأب " سبكتكين " على الخروج من حدود غزنة ، ومهاجمة الهنود المجاورين له ، فبدأت الحروب بينه وبين " جيبال " ملك الهند ، واستولى على مدينة " كابل " وأفسح الطريق أمام سلسلة حروب متتالية ، الهدف منها الإستيلاء على شمال غرب الهند ، ولكنه توفى قبل أن يكملها ، وأتمها من بعده ابنه " محمود الغزنوي " (٤)

تولى " محمود الغزنوي " الحكم بعد والده ، ونجح في القضاء على الدولة السامانية ، وخطب للخليفة العباسي " القادر بالله " وأخذ يتوسع في حدود دولته ، وأقره الخليفه " القادر " علي حكم هذه البلاد ، ولقبه " يمين الدولة " و " أمين الملة " وكان ذلك عام ٤٠٤ هـ " ١٠١٣ م " . وحين اكتسب السلطان محمود هذه الصفة الشرعية ، ضم إلي دولته اقليم خوارزم ، والري ، وبلاد الجبل ، وأسقط الدولة السامانية المتهاوية ، فأصبح لا يفصله عن الهند حدود مانعة (٥)

وتكونت للغزنويين قوة عسكرية كبيرة ، أرادت الخروج من حدود غزنة ، وعجزت عن الانطلاق غربا حيث الدولة البويهية ، ودولة السلاجقة الناشئة ، فاتجهوا نحو الهند ، مدفوعين في ذلك بعاملين ، أحدهما العامل الجغرافي حيث تقع غزنة على قمة هضبة تطل على سهول الهند مباشرة ، ولا يفصلها عن الهند سوي مسيرة يوم واحد (٦) والعامل الثاني الأوضاع الاجتماعية والسياسية في الهند ، حيث كانت تعاني من الانقسام الديني والسياسي ، وتعدد المذاهب والأجناس ، فكانت بيئة خصبة لنشر الإسلام بها .

يعد " محمود الغزنوي " الفاتح الحقيقي لبلاد الهند ، فقد حكم فترة طويلة ، ضم خلالها أجزاء كبيرة من المشرق الإسلامي ، وتوسع في بلاد الهند ، حتى وصل إلي منطقة " كشمير " وقام بسبع عشرة غزوة علي مدى سبعة وعشرين عاما ، فيما بين ٣٦١-٤١٧ هـ " ١٠٠٠-١٠٢٦م " حتى عم الاسلام مناطق " ويهند " و "البنجاب " و "كشمير" و " ناردين " ، واحتل أهم مركزين للحجاج الهنود ، وهما " الملتان " و "سومنات " مقر الصنم الهندي الشهير ، وهزم في تلك الغزوات كل من واجهه من ملوك الهند وأمرائها ، وغنم مالا يعد من الأموال والذهب والمجوهرات والأمتعة والأفيال (٧)

بدأت الصعاب تعترض تقدم الدولة الغزنوية بظهور الدولة السلجوقية الناشئة ، والتي ظلت تخشى بأس " محمود الغزنوي " طوال حياته ، ثم تفاقمت خطورتهم بمجرد موته ، وظلوا في حروب مع الغزنويين ، إلى أن هزموا " مسعود بن محمود " عام٤٣١ هـ ، فانسحب إلى الهند قاصدا " لاهور " التي اتخذها مقراً لحكمه (٨)

كان الخلاف والمنافسه بين أبناء البيت الغزنوي ، وانتشار نظام الجاسوسية التي لم تعرف من قبل ، سببا في انهيار هذه الدولة الإسلامية الكبيرة ، فتولى الحكم مجموعة من الحكام غير الأقوياء ، منهم " مودود بن مسعود " و " ابراهيم بن مسعود " وغيرهم ، وكان آخر ملوكهم " خسروشاه " الذي عجز عن صد أطماع السلاجقة ، وتحدي حكام الولايات الهندية في الانفصال عنه ، فضعفت الدولة ، وتضاءلت قوتها شيئا فشيئا إلى أن استولى الغور على أملاكهم ، وسيطروا علي غزنة ثم لاهور ، وخلعوا " خسروشاه " فانقضى عهد الدولة الغزنوية القوية (٩)

ب) الحدود المكانية للدراسة " منطقة الدراسة ركن هام اقتصاديا وسياسيا "

شغلت منطقة الدراسة موقعا جغرافيا واقتصاديا هاما للمسلمين ، فقد وفرت مجموعة من المقومات البيئية والاجتماعية التى ساعدت علي تكوين حضارة إسلامية ذات طابع خاص ، تختلف عما سبقها من حضارة الفرس والأتراك ، وتوافر فيها الثراء والقوة الاقتصادية التى ساعدت الغزنويين على الاستقرار بها ، واتخذوا من " لاهور " عاصمة ، وثبتوا بها الدين الإسلامي .

وتتحدد بيئة الدراسة في أملاك الغزنويين في منطقة الهند فقط ، وهي مساحة كبيرة ، تمتد من شمال غرب الهند إلي الجنوب منها ، شاملة أملاك قبائل الأفغان ، وأشهر مدنها قندهار وكابل ، وما يطلق عليه بلاد السند " باكستان الحالية " وأهم ولاياتها دبيل وكشمير والملتان والمنصورة ، وكانت أهم الولايات هي كابل لأنها تتحكم في الطرق والمسالك المؤدية إلى السهل الهندي الخصيب (١٠)

كما يدخل ضمن بيئة الدراسة المناطق التى استولى عليها الغزنويين من البراهمة أو الراجبوتيين ، مثل ولاية " البنجاب " و " كجرات " و" دهلي " و "كلنجد " و "كجوراهة" ، والمناطق المحيطة بنهر الكنج ، وإقليم " جوجرات " ذات المناخ المعتدل ، كما كان في حوزتهم أيضا مجموعة من القلاع الحصينة مثل قلعة " كنزهه " و "هانس" و "منارس " و" سومناه " ، و "لاهور" التي ظلت عاصمة لهذه الأقاليم الإسلامية لمدة مائة وخمسين عاما بعد فتحها (١١)

وعلى هذا يستبعد من الدراسة أملاك الدولة الغزنوية في العراق العجمي ، وأهمها غزنة وطخارستان وبلخ وطبرستان وجرجان والري ، وما وراء النهر ، وبخارى وسجستان وأصفهان وهراة ، ونيسابور ، وبلاد الجبل لأن هذه الأقاليم جميعا كانت ضمن أملاك العباسيين ، ثم استقل بها السامانيون ، وخلفهم عليها الغزنويون

ومما يؤسف له أن تلك الأملاك الواسعة ، والمدن الشهيرة قد دمرت بالكامل علي يد " تيمور لنك " وما زالت أطلالها تنتشر في مناطق عديدة حتى اليوم ، كما تغيرت مسمياتها في عصرنا الحالي ، ولم يعد للأسماء القديمة صدى ، بعدما لعبت دورا هاما في التاريخ والنهضة العلمية والفكرية الإسلامية (١٢)

ج) الحدود الزمنية للدراسة

هناك أكثر من حدث تاريخي لتحديد فترة الدراسة ، منها بداية تأسيس الدولة الغزنوية عام ٣٥١هـ " ٩٦٢م " ، إلا أننا سنجعل من إعلان الدولة واعتراف الخليفة العباسي بها ٣٦٦ هـ

" ٩٦٦ م " بداية لفترة الدراسة ، متغاضين في ذلك عن فترة التكوين ، التي قضوها في تأسيس أركان الدولة ، ووضع قاعد الحكم بها .

وتنتهي فترة الدراسة بانهيار الدولة الغزنوية ، وقيام دولة الغور علي أنقاضها ، وكان ذلك عام ٥٨٢هـ (١١٨٦ م) (١٣) فتصبح مدة الدراسة حوالي مائة وخمسة عشر عاما ، عابرين في ذلك فترة الازدهار والفتوحات ، والنهضة العلمية ، وهي فترة حكم " محمود الغزنوي " من ٣٨٧ – ٤٢١ هـ " ٩٩٧-١٠٣٠ م "

وعاصر الغزنويين خلال تلك الفترة أربعة من ملوك آل بويهم "بهاء الدولة "، و "سلطان الدولة "و "شرف الدولة "و "جلال الدولة . (١٥) "كما عاصروا عددا كبيرا من الخلفاء العباسيين وهم الطائع ، والقادر، والقائم ، والمقتدي ، والمستظهر ، والمسترشد ، والراشد ، والمقتفي ، والمستنجد ، والمستضيء ، والناصر (١٦) .

وتعد فترة الدراسة عامل إضافة في التاريخ الإسلامي للعديد من العوامل ، منها الانسجام والروابط الإيجابية ما بين العباسيين والغزنويين ، واجتماعهم على المذهب السنيّ ، فقد اختلفوا كلية عن آل بوية الشيعه ، الذين سيطروا علي الحكم ، واستهانوا بالعرب بعامة ، والعباسيين خاصة ، بينما تشدد الغزنويين للسنة ، وحاربوا أعداءها بشتى الطرق والأساليب ، هذا غير العامل الهام وهو فتح بلاد الهند وإضافة مورد اقتصادي وثقافي جديد ، تكامل مع الموارد السابقة في الدولة الإسلامية.

منهج الدراسـة

تندرج الدراسة الحالية ضمن الدراسات التاريخية ، لذا فالمنهج المستخدم هو التاريخ الوصفي ، الذي لا يغرق في الأحداث السياسية أو الحربية ، ولكن يتناول ظاهرة اجتماعية في فترة زمنية ماضية (١٧)ويسميه بعض العلماء "منهج التاريخ الاجتماعي "حيث يتناول المشكلة أو الظاهرة المقصودة بالتحليل والدراسة ، ولكنه لا يفصلها عما حولها من أحداث تاريخية ، حتى يتوصل لطبيعة واتجاهات تلك الظاهرة (١٨)

وينطبق هذا بحرفيته على موضوع الدراسة ، فليس الهدف سرد الأحداث التاريخية ، ولكن التوصل لحركة التعليم في تلك المرحلة في ظل ظروف سياسية ودينية خاصة .

تباين الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة

بينما تزخر المكتبة العربية بكم وفير من المصادر التي تتناول منطقة الهند الإسلامية ، حيث دأب أساتذة التاريخ على التأريخ لسياسة وحروب تلك المنطقة يلاحظ ندرة الدراسات الأكاديمية التى تدور حولها ، وبوجه خاص في مجال التعليم ، فلم تتوصل الباحثة لأي دراسة في

هذا المجال ، ومع ذلك فقد استفادت من مجموعة الدراسات ذات الصلة القريبة أو البعيدة عن الدراسة الحالية ، مع وجود تباين جوهري فيما بينهم ، ويتلخص هذا التباين في الآتي :

١. تتناول معظم الدراسات تاريخ الدولة العباسية خلال القرون المختلفة ، عابرة على الدويلات المستقلة عنها ، بينما محور الدراسة الحالية منطقة محددة ، هي الهند الإسلامية ، وخلال فترة زمنية معينة ، لم تحظ بالاهتمام من قبل .

٢. اهتم الجميع بالتاريخ للأحداث السياسية والغزوات والحروب ، بينما تهتم الدراسة الحالية بالتاريخ لحركة التعليم ، ومناهجه ، ولغته ، وتأثير الثقافة الإسلامية الجديدة عليه .

٣. حظيت بعض الدول المستقلة عن العباسيين بالاهتمام ، بينما أهمل البعض الآخر ، فنرى السلاجقة موضوع الكثير من الدراسات الأكاديمية ، بينما لم تفز الدولة الغزنوية بأي من هذه الدراسات ، وحين يرد ذكرها فبصورة عارضة لكونها اشتركت مع السلاجقة في فترة زمنية ، ودخلت معها في عدد من الحروب .

و إنحصرت تلك الدراسات في الآتي :-

١- أحمد شوقي إبراهيم , الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي .

٢- شريف بكر عبد الخالق , الأوضاع العلمية والتعليمية في عهد بني بويه والسلاجقة .

٣- عبد العزيز عبد الله سالم , جماعة كتاب الدواوين وأثرهم في الحياتين السياسية والفكرية في الدولة العباسية وحتى نهاية القرن الرابع الهجري .

٤- مذاهب عبد الفتاح , الحياة السياسية ومظاهرها الحضارية في الدولة السلجوقية .

وعلى هذا تنفرد الدراسة الحالية ، بأنها تطرقت لموضوع بكر في مجال التعليم ، في جزء هام من العالم ، حيث تضم الهند ثاني أكبر عدد من المسلمين في العالم ، ومع كونهم أقلية في هذا الكم الهادر من السكان ، إلا أنهم جزء من النسيج الاجتماعي للدولة ، وجزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي في آن واحد .

حركة العلم والتعليم

تأثرت حركة التعليم في ولايات الهند الإسلامية بالعديد من العوامل ، تفاوتت ما بين القوة والضعف ، إحداها العامل الجغرافي ، حيث شغلت هذه الولايات شمال غرب دولة شاسعة الأطراف ، متباينة الديانات ، متعددة الأجناس حتى أطلق عليها القارة الهندية ، والتي شغلت حلقة وصل ما بين العالم الإسلامي وبين وسط قارة أسيا وشرقها ، وقد أهملها المسلمون حينا ، ثم تنبهوا لها ، وصارت محور اهتمامهم علميا وثقافيا ودينيا ، فتأثر التعليم بكل هذه الثقافات سويا .

ويلعب العامل الزمني دورا آخر في حركة التعليم في هذه البلاد ، ذلك لأن القرن الرابع الهجري شهد حركة علمية عامة ، لم يعايشها المسلمون قبله ولا بعده ، وتغذت هذه الحركة من حركات الاستقلال ، حيث اتخذت الدويلات المستقلة من التعليم وسيلة أكيدة لرفع شأنهم ، واثبات وجودهم ، وعاملا هاما يعوض ضعف النفوذ السياسي ، ويرسخ جذور الدولة ، ويرفع شأن الحكام .

هذا غير التزاوج الذي صاحب الفتح الإسلامي ، تزاوج بين الشعوب الإسلامية والبلاد المفتوحة في الدم والمصاهرة والنظم الاجتماعية ، ثم تزاوج العلم والتعليم الذي تأثر بأفكار الفاتحين ، لذا يصاحب الفتح الإسلامي تطورات وتغيرات في استرتيجية التعليم ، فيحمل سمات العناصر الوافدة والوطنية وخصائصهما في آن واحد .

ونلاحظ في بلاد الهند بعداً أكثر خصوصية عن غيرها ، فقد كانت بلاداً بعيدة عن المسلمين ، ثم انتشر الدين الإسلامي فيها بصورة سريعة ومفاجئة ، وذلك خلال الفتوحات الغزنوية ، ووجد المتعلمون أنفسهم أمام تيارات علمية تجمع ما بين العقل والنقل ، فإرتحل طلاب العلم للهند يبغون التجربة والمغامرة ، واتخذوا الفتح الغزنوي وسيلة ، مثلما فعلت الجمعية العلمية الفرنسية مع الحملة الفرنسية علي مصر ، فاستغلوا الحملات العسكرية في دراسة هذه البلاد الجديدة من جميع الجوانب .

ولا يقلل من أهمية النشاط العلمي في فترة الحكم الغزنوي سوى قلة المصادر ، وعدم وضوحها ، فلم توجد بيانات كاملة توضح هذه الأمور ، وكل ما يوجد من معلومات مستمد من أحداث تاريخية أو عسكرية ، ومع ذلك يمكننا أن نحدد تلك الحركة العلمية في العناصر الآتية :

أولا – المد الثقافي الإسلامي للهند يمهد الطريق لنظام تعليمي جديد :

من المسلم به أن العناصر الثقافية تسبق النظم التعليمية في الانتشار ، فلا ينطلق أي نظام تعليمي في المجتمع ، دون تمهيد ثقافي يمكنه من ذلك ، حيث تنصهر العناصر الثقافية الوافدة في العناصر

الأصلية ، مكونة اتجاهات وفكر ورؤية جديدة تدفع الأفراد للإقبال علي التعليم ، والإيمان بأهميته ، واكتساب لغته ومناهجه ، وشيئا فشيئا تغذي كل منهما الأخرى ، حيث يفرز التعليم أجيالا تحمل الثقافة الجديدة ، وترسخ في المجتمع ، وتصبح جزءا أصيلا منه .

وينطبق هذا بحرفيته علي التعليم بالهند الإسلامية ، فلم يكن الفتح الإسلامي لها مجرد غزوات حربية ، بل تحول إلي مسار حضاري ، جذب قبائل بأكملها للتوطن ، حاملة معها اتجاهات فكرية واجتماعية ، حتى أصبح إقليم "مكران "في أقصى شرق إيران بمثابة "خراسان "في إقليم ما وراء النهر ، حيث كان كلاهما مصدرا ً للاتصال الثقافي مع الهنود وثقافتهم ، مما ساعد علي انتشار التعليم الإسلامي في تلك البلاد (١٩).

لقد انطلقت القوة الإسلامية بقيادة الغزنويين حاملة معها ثقافة جديدة ، رسخ وجودها الانقسام البشري والمذهبي بالهند ، فتركت آثارا بعيدة المدي ، وتوغلت بين شتى الطبقات ، وحملتها أسر إسلامية ذات ثقافة مستقلة ، توارثها الأبناء بعد ذلك .

واصطبغت تلك الفتوحات منذ بدايتها بالصبغة الإسلامية ، وسيطر عليهم رغبة دينية قوية ، وبخاصة في فترة "محمود الغزنوي "حيث شن حربا لا رحمة فيها علي الهندوكية ومؤسساتها وتراثها ، وفتح الباب أمام المد الإسلامي ، وأقنع خلفاءه وأقاربه بالانتقال للهند ، والاستقرار بها ، وبخاصة إقليم البنجاب (٢٠)

وعلى الرغم من صلة الهنود بالمسلمين عبر فترات التاريخ ، حيث دأبوا علي الترحال من الهند إلى تركستان عبر أفغانستان ، وإلى إيران مارين بمنطقة "بلو خستان " -على الرغم من ذلك لم يتوقع الهنود هذا الغزو الثقافي القادم من الغرب ، فكان بمثابة صدمة قوية ، لم يفق منها الهنود إلا والإسلام وثقافته يعم جزءا كبيرا من البلاد .

ولم تكن الثقافة الإسلامية جديدة تماما على تلك البلاد ، فقد كانت بلاد الهند حلما يراود المسلمين ، حيث السحر والثراء ، فانتقل التجار المسلمين إلي بلاد السند ، أقاموا هناك أسرا وجاليات ، ثم فتح الأمويون بلاد السند ، وعمروها وأقاموا بها المدن ، مثل مدينة "المنصورة " بالقرب من "حيدر أباد " الحالية ، و مدينة "البيضاء " ، وغيرهما ، حتى صار اقليم السند عربيا إلي حد كبير ، وبخاصة الأقاليم الساحلية على المحيط . (٢١)إلا أن الثقافة الإسلامية ظلت مهددة متفرقة بسبب ضعف الحكام المسلمين بالسند ، وسوء اقتصاد هذه الولاية التي كانت أفقر ولايات الهند ، وأقلها استقرارا ، ويحيط بها الأمراء "الراجبوت "من كل ناحية ، ثم سيطر عليها الإسماعيلية والقرامطة ، واستقلوا بها تماما عن الدولة العباسية (٢٢)

وعلى هذا لم تأخذ الثقافة مكانتها في تلك البلاد بصورة كبيرة وعميقة إلا في عهد الغزنويين ، وساعدهم على ذلك الفترة الزمنية لحكمهم ، وتكرار الغزوات سنويا ، فارتبطوا بها ، وعدوها دولتهم الخالصة ، وأنفقوا الجهد والمال لإصلاحها ، وبخاصة إقليم "المولتان" والبنجاب ولاهور العاصمة الجديدة لهم .

أسهم العامل الاقتصادي بدور هام في انتشار الثقافة الإسلامية بالهند ، فقد عرف عن بلاد الهند شدة الثراء ، ووفرة الذهب والمعادن والأحجار الثمينة ، لذا يرى كثير من المؤرخين أن الغزنويين استفادوا بقدر كبير من هذه الثروات ، وأنفقوا هذه الأموال بسخاء على الجنود والجيش وتعمير البلاد ، وبناء المساجد ، فتسابق المسلمون في مشاركة الغزنويين هذه الفتوحات المنتظمة للهند ، واعتبروا أنها تجمع مغانم الدنيا والدين (٢٣) .

وكانت وفرة الغنائم سببا في اتهام الغزنويين بالطمع والجشع ، وأن همهم الأساسي هو الحصول على الأموال ، وتصدي لهذا الاتهام العديد من المؤرخين ، واستدلوا على ذلك بأن الغزنويين تحملوا في سبيلها مشاق كثيرة ، وكانوا يسيرون لمدة ثلاثة أشهر لفتح بعض البلاد ، وغرق أعداد كثيرة من الجنود عند عبور الأنهار ، وساروا في الطرق الوعرة والسلاسل الجبلية ، ولم يمنعهم كل ذلك من مواصلة الفتوحات بانتظام ، حتى بلغت في عهد "محمود الغزنوي "غزوة كل عام ، أحرز فيها انتصارات كبيرة حتى لقب بـ "الغازي ".

كما كان شديد الحرص على نشر الإسلام وعلومه ، ولم يمنعه شيء عن ذلك ، لذا رفض عرض كهنة البراهمة أن يمنحوه ما يرغب من ذهب وجواهر كي يفتدوا أصنامهم ولا يتعرض لها ، وكان حريصا علي هدم الأصنام ، ففسر الهنود ذلك بأن الصنم الأكبر "سومنات "غاضب عليهم ، ولو كان راضيا عليهم لقضى على المسلمين ، وحين سمع "محمود الغزنوي "ذلك أصر على هدم هذا الصنم ، الذي يحجون إليه ، ويجتمع عنده مائة ألف إنسان ، ويعمل في خدمته آلاف الكهنة ، ويوقفون القري للانفاق عليه ، وقد رأي أن هدم هذا الصنم سوف يفتح الطريق للإسلام ، وواجه في ذلك صعوبات شديدة ، حيث استقتل الهنود أمام مدينتهم المقدسة ، واستنفر بعضهم بعضا من شتى ولايات الهند ، ولكن السلطان محمود ألحق بهم هزيمة منكرة عام ٤١٦هـ (٢٤)

وساعدت العلاقات الودية مع العباسيين ، واستمرار الوفاق بينهم على انتشار الدين الإسلامي وثقافته بالهند ، فقد صبغت هذه الفتوحات بالصبغة الدينية ، وباركها الخلفاء ، وحرص كل من الطرفين على العلاقات الحسنة ، ويستدل على ذلك من تبادل الهدايا والمكاتبات والرسل ، ومظاهر احترام وإجلال الخلفاء ورسلهم ، وكذلك مشاركة العباسيين أحزانهم وأفراحهم ، وإقامة

مظاهر الحداد علي الخلفاء في العاصمة الغزنوية ، وقد سلك الهنود مسلك الغزنويين ، فأقبلوا على الإسلام على المذهب السني شأنهم شأن ملوكهم (٢٥)

هذا غير ما عرف عن حكام الغزنويين من عقل ودين وصفات الخير ، والسير في الرعية سيرة حسنة ، فأطاعهم الجنود ، وصار خلفهم المسلمون يحرزون نصرا تلو الآخر ، وينشرون الإسلام في كل خطوة يخطونها ، ولا سيما مع "محمود الغزنوي " الذي تبعه المسلمون ، وجعلوا من حياته شبه أسطورة ، ووصفوا قوة عزيمته ، وندرة صفاته بين الحكام ، فأسماه البعض بالغازي ، ولقبه الخليفة بيمين الدولة ، وأسماه السيوطي رأس الملوك (٢٦)

وكانت أقوي العوامل المؤثرة في انتشار الثقافة الإسلامية رؤية الهنود للدين الجديد ، فقد آمنوا بوجود قوى خفية ترعى الإسلام ، ومكنت المسلمين من هدم أصنامهم والانتصار عليهم ، فأقبلوا على الإسلام بأعداد كبيرة ، وأصبح في زمن قصير ديانة أساسية ، بجانب الهندوسية والبرهمية والبوذية (٢٧)

هذا غير الظروف الداخلية للهند حيث عاشت آنذاك حياة موسومة بالبعثرة والفرقة ، وانقسام الإمارات المتنازعة ، وانتشار الطبقية التي تبدو في مظاهر الملبس والمكانة والأعمال ، وكانوا يتشددون في الفصل بين كل طبقة وأخري ، ولا يسمحون بالتمازج فيما بينها ، ويعاقب بشدة كل من يحاول تخطي طبقته (٢٨). وحين دخلوا الإسلام رأوا فيه فكرا جديدا ، ومظاهر لم يألفوها تقوم على المساواة ، وتآلف الأجناس ، فأقبلت شتى الطوائف على الإسلام بصورة غير مسبوقة ، وشملت الجميع من الفقراء والمنبوذين ، حتى الأسر الحاكمة السابقة (٢٩)

كما اتبع الغزنويين القاعدة الإسلامية المعروفة ، وهي إعفاء من يدخل الإسلام من الجزية ، فأقبل الهنود وانضموا تحت لوائه ، وتكون منهم آلاف المحاربين الأشداء ، وشاركوا في الغزوات ، وتسموا بأسماء الشعوب الغازية ، وحملوا نفس ألقابهم من "شيخ " و "خان " وسيد (٣٠)

ونخلص مما سبق إلي أن الثقافة الإسلامية تركت بصمات واضحة في الهند ، واستقطبت أتباعا وجمهورا ، وأصبح الطريق مفتوحا لنوعية وافدة من التعليم ، ونهج الغزنويين منهجا ساعد على ذلك ، وهو الاهتمام الشديد بتعمير هذه الولايات ونشر التعليم بها ، فقد انصرف جل اهتمامهم لهذا الجانب من مملكتهم ,نظرا لاحتلال السلاجقة للجانب الغربي منها ، كما فتحوا جميع المناصب والوظائف أمام الهنود المسلمين ، جندية وقيادة وإمارة ، وأجزلوا لهم العطاء والاندماج والمصاهرة.

وشيئا فشيئا انتشر التعليم الإسلامي بالهند ، وشهدت حركة ثقافية نشطة ، ربطت بينها وبين البلاد الإسلامية الأخرى ، وأصبحت منطقة تركستان وشمال الهند وإيران عالما إسلاميا واحدا ، يحمل نفس المقومات العقيدية والفكرية ، ويجد المتأمل للتعليم هناك خصائص التعليم في فارس

نفسها ، وقوة التأثير ، حيث تحولت تلك المناطق إلي مركز ثقافي ، وقاعدة لباقي الإمارات ، ولنا أن نتصور عمق الثقافة الإسلامية هناك حين سقطت الدولة في يد الغور قام على أطلالها العديد من الولايات الإسلامية ، التي يسكنها المسلمون حتى يومنا هذا ، منها البنجاب ، ولاهور ، والملتان ، ودهلي ، وأحمير ، وجوجرات ، والبنغال ، وبهار ، وغيرها .

ثانيا لغة التعليم "العربية لغة حائرة "

حين لعبت العربية دورا هاما في جميع الأمصار الإسلامية وحين كانت لغة تعليم للعرب والمولدين ، وفرض على الطلاب والمعلمين اتقان نحوها وصرفها وعروضها -حين كانت كذلك - لم يقدر لها الازدهار في الهند ، ولم تأخذ مكانة تذكر كلغة للتعليم ، ووقفت الظروف والملابسات عائقا أدى إلى بطء تقبل الهنود لها ، وصعوبة انتشارها ، فلم يسهموا فيها بفيض وفير كما فعلت الأمم التي دخلت الإسلام كالأتراك والفرس .

وحين غزت العربية فارس بسهولة فائقة ، تعثرت في الهند ، لتمسكهم بالموروث من اللغات القديمة ، وعلى الرغم من انتشار الثقافة الإسلامية ، وأعادة الاتصال بين الهند والولايات الإسلامية الشرقية إلا أن العربية ظلت لغة الأقلية التي سكنت الهند قبل الفتح الغزنوي ، واستوطنت بها ، ثم فقدت بعد ذلك ما عرف عنها من قدرة على توحيد العالم الإسلامي وإعادة تجميعه ، وذلك لمنافسة العديد من اللغات الأخرى التي عرفت بالهند مثل السنسكريتية والفارسية والرومية والسريانية واليونانية (٣١).

وعلى هذا نجد أن اللغة الأساسية للتعليم آنذاك كانت السنسكريتية والفارسية ، فقد تأثر الهنود بشدة بالثقافة الفارسية في عصر الإحياء ، كما تمسكوا بلغتهم الأصلية في نفس الوقت ، لذا ازدهرت حركة الترجمة بينهما ، وكان الأدب السنسكريتي يلخص ثم ينقل للفارسية ، ويدرس للطلاب(٣٢)

ولم يكن للغزنويين دور كبير في تراجع العربية أمام الفارسية ، بل فرض ذلك الملابسات التاريخية والجغرافية ، وكان أقرب ثلاث رجال من "محمود الغزنوي "يجيدون العربية تماما ، وهم كاتبه ومستشاره "أبو الفتح البستي "ومؤرخ الغزنويين "أبو نصر العتبي "صاحب كتاب "التاريخ اليمني "، وثالثهم وزيره "أبو القاسم الميمندي " الذي شجع على انتشار العربية ، وطلب من الولاة عدم مخاطبته بالفارسية إلا للضرورة ، كما التف حول "محمود الغزنوي "مجموعة من شعراء العربية ، مثل بديع الزمان الهمذاني ، وأبو منصور الثعالبي ، وأبو ريحان البيروني (٣٣)

إلا أن الفارسية كلغة وثقافة للحكام الغزنويين وجدت طريقها للعلماء والعامة على السواء ، وبخاصة أن الكثير من المتعلمين انتقلوا من منطقة ما وراء النهر إلي هذه البلاد الجديدة حاملين معهم الفارسية بكل أبعادها ومظاهر الحياة بها ، وأصبح الهنود يتذوقون الأدب الفارسي الذي كان

في قمة ازدهاره ، وظهرت أجيال جديدة تملك عنان اللغتين الفارسية والسنسكريتية ، وأنتجوا بهما أدبا وشعرا ، وإنتاجا علميا جديدا يتواءم مع ما للفارسية من جذب ثقافي وعطاء علمي لم يتوافر لغيرها آنذاك (٣٤)

وشيئا فشيئا استقطبت الولايات الهندية نماذج فريدة من المتعلمين والعلماء الناطقين بالفارسية ، منهم "الفارابي "و "البيهقي "و "الفردوسي "وأصبحت الفارسية اللغة الرسمية في البلاد والتعليم والمراسلات والأدب ، فظهرت مدرسة جديدة في الأدب الفارسي بالهند تسمي مدرسة "دهلي "التي نافست مدارس بخاري وسمرقند ونيسابور وغيرهم (٣٥)

وكان لسيادة العلوم العقلية في التعليم الهندي دور في تراجع العربية ، فقد اعتمدت هذه العلوم – وبخاصة الطب – على المؤلفات اليونانية والسريانية ، لذا كان على الطالب أن يلم بإحدي هذه اللغات بجانب اللغتين الأساسيتين الفارسية والسنسكريتية ، فنشطت حركة الترجمة من هذه اللغات وإليها ، وعمل بها العديد من المترجمين الهنود ، الذين حازوا شهرة واسعة لدي الغزنويين فأنشئوا ديوانا متخصصا للترجمة من الهندية وإليها (٣٦)

ومع ذلك لم يتوقف الاتصال ما بين العربية والسنسكريتية ، فالعلاقة قائمة بحكم الدين ، وكان الاتصال بينهما عبر وسيط ثالث وهو الفارسية ، فاستمرت الترجمة بينهما ، وبخاصة في الرياضيات والفلك والطب والصيدلة والطب البيطري ، وكانت الكتب تترجم من السنسكريتية للفارسية ، ثم تنقل للعربية بعد ذلك (٣٧)

ويذكر في هذا الصدد ما لا يمكن حصره من الكتب في شتى المجالات ، منها ما ترجم قبل الحكم الغزنوي أو أثناءه ، ونقلت جميعها للفارسية ثم للعربية مثل كتب الطب "سندستان "وكتاب "بدان "و "استانكر "وكتاب للطبيب الهندي "توكشتل "أو "توقشتل "وكتاب السندباد الصغير والسندباد الكبير ، وكليلة ودمنه ، وكتاب أدب الهند والصين ، وكتاب "هابل "في الحكمة ، وكتاب "حدود منطق الهند "وكتاب هام في الموسيقى يسمى "نافر " أي الثمر الجديد وغيرهم كثر (٣٨)

ويجزم المؤرخون أن العربية التي أخفقت في فرض نفسها كلغة تعليم لم تبتعد تماما عن الولايات الهندية ، بل استمرت تعطي وتأخذ ، حتى ظهرت كتب عديدة تتناول النحو العربي وقواعده ، وأهمها كتاب "الكافية "، وتلاه عدد آخر مثل كتاب "الهندي "و "لب الألباب " وكتاب "لباب الإعراب "و "المصباح "بل ظهرت العديد من المؤلفات التي تضم اللغات الثلاث معا ، الفارسية والعربية والسنسكريتية ، ويقارن بينها مع شواهد من كل لغة (٣٩)

واشتد هذا الاتجاه بعد ذلك ، وتجانست اللغات الثلاث كما اختلطت الأجناس ، فظهرت لغة جديدة تماما تسمى **اللغه "الأردية "**التي تعد خليطا من اللغات الثلاث بجانب التركية ، وانتشرت هذه اللغة الجديدة في منطقة غرب الهند كلغة للحديث ، ثم أصبحت لغة الأدب والتعليم ، وأصبح الكتاب المسلمون الهنود لا يكتبون إلا بها بعد ما كانوا يكتبون بالفارسية ، وأخذت مكانتها كلغة راسخة حتى يومنا هذا (٤٠)

وهكذا اعتمد التعليم في بلاد الهند الإسلامية على عدة لغات ، لم تحتل العربية مكانة بينها ، وعلى الرغم من انتشار الدين الإسلامي إلا أن اللغات ذات الصلة القديمة معهم فرضت نفسها على تلك الولايات ، حيث ارتبطوا منذ زمن قديم بحكم الجوار والتاريخ المشترك ، وبخاصة الفارسية التي استعادت روحها ، ونشطت بفضل العديد من الدويلات الفارسية الأصل ، فوصلت هذه اللغة إلي قمة ازدهارها ، وزحزحت العربية عن مكانها المعهود

وساعد علي تراجع العربية عامل هام وهو مزاحمة الثقافة الفارسية للثقافة العربية ، فلم ينصهر الهنود تماما في أي منهما ، وما تم فقط هو توطين الحضارة الإسلامية بالهند ، حيث اكتسبوا روح الإسلام مع الاحتفاظ بطابعهم القومي ، ومع ذلك رجحت كفة الثقافة الفارسية ، لكونها أقرب للهنود منذ قديم الزمان ، فقد كانت فارس تدين بالديانات الهندية ، ثم ظهر " زرادشت "ودعا للمجوسية ، وأجبر الناس على اعتناقها .

ثالثا المؤسسات التعليمية "مراكز مفتوحة للتعليم "

على الرغم من أن الاندماج الهندي الإسلامي لم يكن سريعا كسائر الولايات الإسلامية ، إلا أن الاحتكاك كان قد بدأ بالفعل ، وبات انتقال النظم التعليمية يسيرا ، وخاصة في ظل جيل المولدين ، الذي حمل مزيجا من الثقافتين ، حيث اقتبس نظما وأفكارا إسلامية ومزجها بغيرها من الهند وآسيا الوسطى .

وكانت المؤسسات التعليمية في تلك البلاد على شاكلة ما كان في المناطق الأخرى ، والهيكل التعليمي غير مكتمل ، والحكام -مع شغفهم بالعلم وإكثار العطاء - لم يؤسسوا مراكز مستقلة للتعليم ، فلم تذكر أماكن مخصصة للدراسة أيا كان نوعها .

ولم يمنع ذلك انتشار التعليم في القصور والدور والمساجد ، وبخاصة أن هذه المنطقة قد جذبت العديد من المعلمين للعمل بها ، كما جذبت العلماء الذين يبحثون عن كنوز العلم الدفينة ، فانتشرت الجاليات الإسلامية في بلاد الهند ، وتزاوجوا مع الهنديات ، حتى وصل تعدادها في بعض الولايات إلي أكثر من ٢٠ % من السكان (٤١)

ولم يدخر الغزنويين جهدا في نشر التعليم في تلك الولايات ، وبخاصة "محمود الغزنوي " الذي كان محبا للعلم والعلماء ، يكرمهم ويعظمهم ويشاركهم اهتماماتهم ، ومهد الطريق أمام المتعلمين ، واصطحب معه " البيروني " أشهر علماء عصره ، فواظب على دراسة " الهند " من جميع الجوانب الاجتماعية والجغرافية والاقتصادية (٤٢)

وعرف عن "محمود الغزنوي "ارتفاع مستوى طموحه ، ورغبته القوية في تحويل تلك المناطق إلي التعليم الإسلامي ، فاتبع قاعدة تعليمية كانت معروفة من قبل ، وهي إتاحة التعليم لكل راغب فيه ، لا تعوقه طبقته أو دينه أو نسبه ، ولا رقابة على التعليم إلا من انحرف عن الدين ، ولا تتحمل الدولة نفقات التعليم ، ولا تخصص له ميزانية ، فالتعليم يصل لأدنى الطبقات ما دام الطالب قادرا على توفير مصاريف دراسته (٤٣)

وكلما دخل الغزنويين ولاية ودان أهلها بالإسلام ، تركوا بها من المعلمين والشيوخ من يعلمهم العلوم الإسلامية وبعض العلوم العقلية ، ووفروا للطلاب سبل الانتقال لمراكز التعليم في المشرق الإسلامي ، فينتقل الطلاب من الهند إلي سلسلة متصلة من المدن تتنافس كل منها الأخرى في مكانتها وعلمائها وشعرائها ، واشتهرت كل منها بالمراكز العلمية ، والمساجد التعليمية ، والمكتبات العامرة ، مثل نيسابور ، وسمرقند ، وهراة ، وآمل ، و بلخ ، و طبرستان ، والري ، و أصبهان ، فاتصلت الحركة التعليمية في هذا العهد بما كان قبلها في عهد السامانيين والبويهيين ، ووزرائهم العظام ابن العميد ، والصاحب بن عباد (٤٤)

ويذكر الكثير من العلماء أن الغزنويين قد سبقوا السلاجقة في افتتاح المدارس ، حيث أنشأ السلطان "محمود "مدرسة كبيرة في غزنة ، وأسسها أفضل تأسيس ، وجلب لها الأئمة والعلماء ، واستقدم لها الكتب والمراجع ، كما أنشأ أخوه الأمير "نصر "المدرسة السعيدية "في نيسابور ، وكان ذلك قبل المدرسة النظامية بعدة عقود (٤٥)

إلا أنهم لم يفتتحوا مدارس في الهند ، واتبعوا ما يشبه الأسلوب الفيدرالي في تيسير التعليم ، فأعطوا لحكام الأقاليم حرية العمل في هذا الشأن ، لذا أصبحت المدن الهندية مراكز ثقافية شأنها شأن غيرها ، وبخاصة البنجاب ولاهور العاصمة الثانية لهم ، وكان البلاط الإقليمي في أي من هذه الولايات يتشبه ببلاط الخلافة ، يجذب العناصر المثقفة ، ويرعى المتعلمين في تلك المدن ، فعلا نجمها إلي جانب العواصم الإسلامية الأخرى (٤٦)

واحتلت المساجد الدور الأهم كمراكز للتعليم ، حيث تطورت وظيفتها -كسائر العالم الإسلامي - وأصبحت مقرا لحلقات العلوم الشرعية والعقلية والأدبية ، حتى أصبحت مراكز دينية تعليمية متكاملة ، ورمزا للتواجد الإسلامي ، يعين بها الأئمة ، والعلماء والقضاة (٤٧)

لذا أهتم بها محمود الغزنوي ، وحرص على تعميرها ، واعتبر ذلك أهم مسئولياته ، وأنفق عليها معظم ما غنمه من أموال وذهب وفضة ، وزودها بالمكتبات العامرة بالكتب ، حتى باتت المساجد أشبه بنواد تعليمية عامرة بالناس ، ونادرا ما خلت من العلماء الذين يعقدون حلقات الدرس ، ويكتظ الطلاب من حولهم ، ويعرف موضع كل عالم بالسجادة التي يصلي عليها ، ومن علامات سخط الحكومة على العالم أن تلقى سجادته خارج المسجد (٤٨)

وحرص الغزنويين على أن يتجلى في المساجد المهابة والفخامة ، لتعطي للهنود إيماء بعظمة الإسلام وأهله ، وكيف حلت في بلادهم محل المعابد البوذية والهندوكية ، فجعلوا من التماثيل والأصنام أعمدة وأعتابا للمساجد ، حتى باتت وكأنها معبدا هنديا ضخم الواجهه ، يشمل الصحون والأروقة ، ويتكون من عدة طوابق ، ويخصص به جزء للصلاة ، وآخر لتعليم علوم القرآن ، وغيره لعلوم اللغة وغيرها (٤٩)

وكان كذلك للقصور ومنازل الأمراء والقضاة وكبار رجال الدين مكانتها كمراكز للتعليم ، ولعبت في ذلك دورها المعتاد ، فقد حرص الأثرياء على استقطاب العلماء ، وأنفقوا في سبيل العلم الأموال الوفيرة ، وساعد على ذلك ازدهار الحالة الاقتصادية نتيجة لوفرة الغنائم ، ونشاط التجارة ، فقد وجد التجار المسلمون الاستقرار والطمأنينة أينما رحلوا ، وعاملهم الحكام معاملة حسنة ، فيتبع ذلك نشاط في العلوم الدينية ، التي انتشرت بطريقة منتظمة وغير منتظمة ، ولم يمض وقت طويل حتى ظهر من سكان الهند الكثير من المتخصصين في العلوم الدينية وغيرها (٥٠)

وظهر في تلك الفترة اختراع هام ، ترتب عليه انقلاب في مجال التعليم في البلاد الإسلامية عامة ، والهند خاصة ، ألا وهو صناعة الورق ، فقد كان الهنود في الجنوب يكتبون على أوراق شجر يسمى "التوز" (٥١) ثم نقلوا عن المسلمين الكتابة على ورق البردي المصنع في "دمياط "بشمال مصر ، إلى أن ظهر نوع جديد من الورق يسمي "الكاغد "ويستخرج من نبات الكتان ، واستخدمه الإنسان لأول مرة عام ٣٠٠هـ ، فانتهت الكتابة على البردي تماما عام٣٢٣هـ (٩٣٥ م) (٥٢)

ونقل التجار المسلمون صناعة ورق(الكاغد) الصين إلى الهند وسائر أنحاء العالم الإسلامي ، وطوروه وتقدمت صناعته ، وتمركزت في مدينة "سمرقند "وما حولها ، وسريعا ما انتقلت تلك الصناعة إلي الهند ، وانتشر ورق الكتابة في كل مكان ، وخاصة مع انخفاض ثمنه ، وسهولة الحصول عليه (٥٣)

وهكذا يحق لنا أن نسمي مراكز التعليم بالهند بالمراكز المفتوحة ، حيث يؤكد التاريخ توافر حركة علمية حيه ، إلا أن أماكن التعليم لم تكن على نفس المستوي ، ولم يسجل غير المساجد

كمراكز معروفة للتعليم ، ولم يمنع ذلك المسلمين الهنود من الإقبال على التعليم ، واقتناء الكتب ، وتشجيع عملية النسخ ، وامتهان هذه المهنة ، وساعد الحكام والأثرياء هذه الحركة ، وانفقوا عليها ببذخ حتى تحولت قصورهم ومجالسهم إلى ما يشبه سوقا رائجة للعلم والأدب .

وعلى هذا تميزت بعض المدن أكثر من غيرها في هذا النشاط العلمي ، مثل مدينة لاهور "مقاطعة بومباي الحالية "و "الملتان "في باكستان الحالية و "البنجاب "وقدم إليها العلماء من المدن المجاورة ، وبخاصة القريبة منها ، مثل "خوارزم "التي كانت مركزا نشطا للعلوم العقلية ، وشغف أهلها بالعلم ، وتناظروا في الأسواق والمساجد ، وحين استولى عليها محمود الغزنوي ، انتقل معظم علمائها إلى دولته ، وأقاموا تحت حكمه في غزنه ، ثم في الهند بعد ذلك .

رابعا -مناهج التعليم :

أ - سيادة العلوم العقلية

كان لمناهج التعليم في الهند دور في ظهور العقلية الإسلامية غير التقليدية ، التي لا تقتنع فقط بالمنقول المتوارث ، ولكنها تتطلع لشتى أنواع العلوم ، فقد غذت تلك الفترة المسلمين بالعلوم العقلية التي أقبلوا عليها يطورون ويبحثون حتى توافق روح العصر ، وحتى أطلق عليها العلوم العقلية الإسلامية .

كما أخذ الهنود عن المسلمين العلوم الإسلامية التي تخدم الفروع الدينية المختلفة ، وسار كل من النوعين في مسارين متوازيين ، لا يمنع أحدهما الآخر ، وبخاصة أن الاندماج بين المسلمين والهنود كان أمرا واقعا ، فكان من الطبيعي أن تتقارب العلوم والمعارف ، وظل كل منهما بجانب الآخر لا يمنع سيره ولا يعوقه ، ولكنها لا تمتزج في إطار واحد .

ولم تكن هذه التقسيمات بين نوعي العلوم أمرا مفروضا ، بل تصنيفا وضعيا من عمل العلماء ، ففصلوا بين هذا التخصص وذاك ، ولم يمنع ذلك كثيرا من العلماء أن يجمعوا العلوم الطبيعية ، والدينية في آن واحد ، إلا أنهم -في جميع الأحوال -مدوا الدولة الإسلامية بذخيرة حيه توافق التطور العلمي السائد آنذاك .

وكانت للعلوم الطبيعية سيادة كبيرة في تلك البلاد ، فقد كان لديهم علوم عقلية قديمة وراسخة نقلوها عن اليونانيين منذ فتح الأسكندر الأكبر للهند ، فقد انفتحوا على حضارة اليونان العريقة ، وأضافوا لها حتى صاروا من المتخصصين الواضعين لأصول تلك العلوم ونظرياتها ، وانتشرت في الهند عدد كبير من المدارس والجامعات التي استرعت انتباه المؤرخين والرحالة ، وذاع صيت تلك الجامعات في أنحاء العالم مثل جامعة "يوجين "الفلكية ، وجامعة "أجانتا "الطبية ، وجامعة" بنارس "البرهمية وجامعة "نالاندة "البوذية ، ويتلقى العلم بها عشرات الآلاف من الطلاب

، وتخرج منها أشهر الفلكيين والأطباء الذين نقلوا علومهم للطلاب ، وأدرك المسلمون مكانة الهنود في العلوم العقلية وأنها أمة كبيرة العدد ، ضخمة العلوم ، وافرة الصناعات فأقبلوا على تعلم الطب والحساب الهندي بجانب اليوناني المعروف لديهم من قبل ، إلا أن الأول لاقى قبولا أكثر من غيره ، وارتحل الطلاب من البلاد الإسلامية بهدف محدد وهو دراسة الرياضيات على يد المعلمين الهنود المشهود لهم بالبراعة في هذا التخصص (٥٤)

وعرف في عهد الدولة الغزنوية علم جديد أنشأه "البيروني "، وهو علم مقارنة الأديان ، فدأب على مقارنة الإسلام بعقائد الهند المختلفة ، وفند معتقداتهم في الموجودات والأرواح وتناسخها ، وترجم معظم ما قرأه من المؤلفات الهندية ، ولكنه كتب كتبه بأسلوب معقد صعب المنال للطلاب ، وفسر ذلك بأنه يكتب للعلماء وليس للعامة ، ومع ذلك كان أشهر علماء عصره ، وكان درة في جبين الدولة الغزنوية ، مثلما كان "ابن سينا "في الدولة السامانية (٥٥)

وانتشرت دراسة علم الفلك بصورة كبيرة لتعلق العامة والخاصة بها ، وكان يعرف باسم "سنداهندا "وهو علم مكتمل الأركان ، له نظرياته ومصطلحاته ، وألفت فيه الكثير من الكتب ، وكان على الطلاب دراسة جميع فروعه بالعمليات الحسابية والرياضية ، مثل أحوال الكرة الأرضية ، وهيئة السماء وحركة الكواكب ، والأزمنة والليل والنهار ، وكسوف القمر وخسوف الشمس ، ورؤية الهلال ، والتقاويم الأربعة الشمسي والقمري والطلوعي والمنازلي (٥٦)

ووضعوا حدودا فاصلة بين ما هو نظري وما هو عملي ، فالأول يسمى "علم الهيئة " ويتناول حالة النجوم والأجرام وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها ، والثاني يسمى "علم الرصد " ويطبق عمليا في المراصد الفلكية ، ويستخدم الزيجات والاصطرلاب ، وغيرهما من الآلات الفلكية المعروفة (٥٧)

واهتم الهنود اهتمام شديدا بتدريس الرياضيات للطلاب لما لها من فوائد عقلية ، حيث تكسب الذهن حدة ونفاذا، وتدرب المعلم على الاستدلال والاستنباط ، واستخدام البراهين والأدلة ، وعدوها أحد علوم الحكمة ، وكان لها أربعة أصول هي الهندسة والهيئة " الفلك "والحساب والموسيقى ، ويتفرع من الرياضيات ستة فروع هي علم الجمع والتفريق ، علم الجبر والمقابلة ، علم المساحة ، علم جر الأثقال ، علم الزيجات والتقاويم ، ثم علم " الأرغوتة " أي الآلات الغريبة (٥٨)

وسلك الهنود مسلكا مختلفا عن العرب في تدريس الرياضيات ، فحين أقبل العرب على النظريات المجردة أكثر من التجريب والتطبيق ، عارض الهنود فكرة الإدراك العقلي المحض ، ورأوا ضرورة الربط بين النظري والعملي ، واستخدام الحواس لأنها المصدر الصحيح للمعرفة ، وبدونها لا ينجح العقل في تأملاته وأفكاره (٥٩)

وكانت دراسة الطب أحد التخصصات العقلية الهامة ، وكان الأطباء الهنود رمزا للنبوغ والتفوق ، لذا استقدمهم العباسيون منذ بداية الدولة ليتولوا علاج الأمراء والخلفاء وكبار رجال الحكم ، ولازمهم الطلاب المسلمون في بغداد للاستفادة من علمهم ، وألح عليهم الناس طلبا للتداوي ، فقد ذاع صيتهم وشهد لهم بأنهم قبضوا على ناصية الطب دراسة وتأليفا وتطبيبا (٦٠)

ومن الأمور الغريبة اختلاط الفكر الخرافي والغيبيات بالفكر العلمي في مجال الطب الهندي ، إلا أن وجود جامعة "أجانتا "كجامعة متخصصة في الطب دفع الكثيرين لدراسة هذا العلم ، في تخصصات عديدة منها علاجات النساء ، والعقاقير والسموم ، وأنواع الأمراض والعلل ، والطب النفسي ، "التوهم في العلل "والتشريح والتخدير ، والعمليات الجراحية ، ووظائف الأعضاء ، والطب البيطري ، .وانتشرت كتب الطب بين العامة والمتخصصين ، واستفاد منها معظم أطباء البلاد المجاورة ، حتى قيل :ما من رياضي أو طبيب أو فلكي مسلم أراد التوسع في علمه إلا ودرس كتب الهند ، وكان من هؤلاء "الرازي "الذي أورد الكثير من المعلومات الهندية في كتابه "الحاوي "وترجم العلماء إلي العربية عددا لا يحصى من مؤلفات الطب الهندي ، منها كتاب "مائة داء ودواء "وكتاب "روسا الهندية "في علاجات النساء ، وكتاب "عقاقير الهند "وكتاب "السموم " وكتاب "أنواع الحيات " (٦١)

ومع هذا التقدم فقد أعاقت طبيعة الإنسان الهندي دراسة تلك العلوم بالطريقة المثلى ، فقد كانوا قوما شديدي الإعجاب بأنفسهم وتراثهم ، يعتدون بعلمهم ، وينظرون من أعلى على غيرهم ، فلم يقبلوا على علوم الغير ، وأغلقوا الدائرة حول أنفسهم ، فاختلطت هذه العلوم الطبيعية بالكثير من الخرافات ، وامتزجا امتزاجا عجيبا ، حتى وصفها "البيروني "بأنها صدف مخلوط بخزف (٦٢)

ولم يقف الهنود عند دراسة العلوم الطبيعية فقط ، ولكن اهتموا أيضا بتدريس الإنسانيات ، وأهمها علم الإلهيات أو الفلسفة الدينية ، والأدب بشتى فروعه مثل أدب الرحلات ، وأدب المواعظ والحكم ، كما أقبلوا بشغف على دراسة التاريخ ، مدفوعين برغبتهم في معرفة أخبار الملوك والمشايخ والشعراء والصوفية ، ، وكانت معظم التخصصات تدرس بالفارسية والهندية ، والقليل منها بالعربية (٦٣)

وكانت الموسيقى من العلوم المحببة إليهم ، وعرفوه كعلم مستقل يدرس فيه تأليف الألحان ، واستخدام الآلات الموسيقية ، وطبيعة الأنغام والإيقاعات ، وتأثير الموسيقى على النفس والجسم ، فأقبل عليه الدارسون ، وبرعوا في استخدام الآلات بشتى أنواعها ، ولهم مؤلفات موسيقية عديدة شهد لها غيرهم ، ونقل عنهم المسلمون هذا الاهتمام ، وترجموا بعض كتبهم في الموسيقى ، وأهمها كتاب " نافر " (٦٤)

أما علم العمارة فقد ترجم لفنون ملموسة ، وتشهد المعابد البوذية والبرهمية بمدى تقدم هذا العلم ،حيث عرفوا منه فروعا مختلفة كالنحت والنقش والتلوين والتصوير والتجسيم ، وقد وصف البعض عمارتهم أنها وصلت لدرجة الكمال ، وبينما رفض المسلمون في بداية الدولة الغزنوية نقل هذه الفنون المعمارية أقبلوا عليها بعد ذلك مبهورين لما وصلت إليه من إتقان وبراعة ، ولم يتحرجوا من نقلها إلي منازلهم ومساجدهم لإدخال الجمال إلى أماكن العبادة (٦٥)

وهكذا اعتمد التعليم في ولايات الهند الإسلامية بصورة كبيرة على العلوم الطبيعية أو ما كان يسمى العلوم العقلية ، فقد شغفوا بها أكثر من غيرها ، ولم يقف المسلمون موقفا سلبيا تجاه ما ورد إليهم من علوم الهند ، بل أضافوا وطوروا ، ونتج عن ذلك ما يسمى بالحضارة الهندية الإسلامية ، التي رمت إلى الاستفادة والنبوغ بصرف النظر عن المذهب أو الجنس ، وهو اهتمام قديم ومتوارث ، لم يظهر في فترة الحكم الغزنوي فقط ، بل ورثه الهنود من مدنيتهم وحضارتهم العريقة ، وتوافق ذلك الاتجاه مع النهضة العلمية التي عمت البلاد الإسلامية التابعة للخلافة ، كما توافق مع تشدد الغزنويين نحو نشر العلم بمعناه الشامل عقليا ونقليا ، ووسائل نقل المعرفة ، والنشاط الفكري والفلسفي .

واتسمت تلك الفترة بخصائص مختلفة عما سبقها في تاريخ العلم ، لذا أسموها الفترة "الطورانية "أي الإسلامية الأفغانية التركية ، حيث نشأ مجتمع إسلامي جديد يحمل اتجاهات علمية متأثرة بهذه الأجناس ، فأخذ الطلاب بحظ وافر من كل أنواع العلوم ، وخاصة بعد ما استقرت أحوال الهند ، وهدأت الحروب والفتوحات ، فوجد المتعلمون أنفسهم في بيئة مناسبة ، وخاصة مع تشجيع الحكام الذين أنفقوا بسخاء على العلماء والمتعلمين ، وجدوا في نشر الكتب ونسخها حتى تصبح في متناول أكبر قدر من راغبي العلم .

ب) العلوم الدينية ومردودها الاجتماعي

وكان من مناهج التعليم أيضا العلوم الدينية بشتى تخصصاتها من قرآن وتجويد وفقه وحديث ، فقد وقفت جنبا إلي جنب مع العلوم العقلية تشهد اعتدال الحضارة الإسلامية ، وتدفع الادعاء الذي يرى أنها حضارة تلتهم ما عداها , والواقع أنها تتغير وتتشكل بحيث تحتفظ بعلومها وهويتها مع علوم وهوية الآخرين ، لذا رحبت بنوعي العلوم جنب إلي جنب .

ولا توجد مؤرخات كاملة عن كيفية انتشار دراسة هذه العلوم الدينية -رغم حداثتها -في بلاد الهند .ولكن يؤكد المؤرخون أنها أخذت مكانتها بناء على تشجيع "محمود الغزنوي "نفسه ، فقد كان مولعا بدراسة العلوم الدينية ، وبخاصة علم الحديث ، متقربا إلي رجال الدين وعلمائه ، واتبع معهم أسلوبا متفردا يقوم على الحوار والمناقشة ، وفتح الباب أمام المذاهب جميعها ، فالتف حوله

مجموعة من أصحابها طمعا في نشر مذهبهم في بلاد الهند (٦٦) ويذكر عن السلطان "محمود " حرصه الشديد على تسجيل كتب العلوم الدينية وتصنيفها ، وجمع علماء مملكته وحملهم على تصنيف كتب التفسير ، وأنفق عليهم خلال مدة اشتغالهم بهذا الدراسات عشرين ألف دينار ، إلى أن خرج عملا ضخما في مائة مجلد (٦٧) .

وسار على دربه من خلفه من الحكام ، ففتحوا الطريق أمام علماء الدين الذين وجدوا هناك كل ترحيب ، و منحهم الحكام الرواتب الكبيرة ، والقصور بما فيها من خدم وعبيد ، بل وقطعوا لهم الإقطاعات والأراضي ، فأصبحت الهند مستقرا لعدد كبير من العلماء ، وبخاصة من فر من إيران أو تركستان بسبب الاضطرابات السياسية ، فاقتحموا بعلومهم صميم المجتمع الهندي (٦٨)

وإذا قارنا بين براعة الفرس والهنود في العلوم الدينية نجد فرقا شاسعا ، فلم تمد الهند العالم الإسلامي بعلماء في شهرة علماء فارس ، ومع ذلك انتشر طلاب العلوم الدينية في ولايات الهند الإسلامية ، وجابوا البلاد في وفود علمية الهدف منها البحث والتحقيق ، وبخاصة ولاية "دلهي " التي شهدت حركة نشطة ، حتى بدت وكأن الناس جميعا طلاب علم ، يتباهون بما لديهم من علوم ومعارف ، وساعد على ذلك تزايد عدد المتصوفة واعتكافهم في المساجد ، فالتف حولهم راغبو الدراسات الإسلامية ، إلا أن ذلك أخرجهم عن الطريق الصحيح حيث اعتقدوا في كرامات هؤلاء المتصوفة ، وأخذوا يتقربون إليهم ويلتمسون عندهم البركات .

وحرص المتعلمون على عدة علوم عدت مقياس الفضيلة في هذه الأزمنة ، وهي النحو والبلاغة وأصول الفقه والتصوف والتفسير ، وتوسعت تلك الدراسات وتعمقت وظهر فيها العديد من المؤلفات ، وإن كانت غير واضحه البيانات ، مثل كتاب "عين العلم " و "الفتاوي التاتارخانية " وكتاب "الفتاوي الحمادية "و "الفتاوي الهندية "و "مطالب المؤمنين "وكتاب "دستور الحقائق ". وتبع هذا الجيل جيل آخر من المؤلفين استفادوا من سلفهم وكانت مؤلفاتهم أكثر وضوحا ، وفي تخصصات عديدة ، ففي النحو كتاب "المصباح " و "الكافية " و " لب الألباب " وفي الفقه " المتفق " و " المنار " وفي التفسير كتاب " المدارك " و " البيضاوي " و " الكشاف " . وفي التصوف كتاب " العوارف والتعرف " و " النصوص "وفي الحديث كتاب " مشارق الأنوار " و "مصباح السنة " (٦٩)

وأقبلوا على سيرة الرسول صلي الله عليه وسلم يدرسونها بشغف بالغ ورثوه عن الغزنويين ، وانتشرت مؤلفات السيرة بين جميع الطلاب ، وأشهرها "سيرة النبي "و "الحدائق الخضرة في سيرة النبي وأصحابه العشرة "و "المنتخب المصطفى في أخبار مولد المصطفى " وكان معظم المؤلفات بالعربية ثم تلاها بعد ذلك مئات المؤلفات بالأردية والهندية (٧٠)

والعامل الأهم في هذا الصدد هو المردود الديني والاجتماعي لدراسة العلوم الدينية ، فقد اقترنت العلوم الإسلامية بحركة محددة الهدف منها التبصير بالعقيدة وفهم الدين ، وتغيير نمط الحياة والسلوك ، ، فكانت حركة علمية تبشيرية بعيدة الأثر ، تغلغت في حياة الناس ، لذا لا يمكننا أن نهمل هذا العامل الهام ، وهو الارتداد التأثيري للعلوم الدينية ، فقد أحدثت تغيرات اجتماعية مثلما أحدثت الغزوات والحروب تغيرات سياسية وحربية .

لقد أقبل الهنود على دراسة العلوم الإسلامية بجب بالغ ، وانصرفوا عن تراثهم العلمي الهائل ، سواء كان هندوسيا أو بوذيا ، لما تضمنه من معلومات وثنية لا تتوافق مع روح الدين الإسلامي (٧١) وكانت العامة أكثر الفئات تأثرا ببصمات الدين والثقافة الإسلامية ، فتغيرت عاداتهم غير المقبولة ، وتطور تفكيرهم الخرافي ، ووجدوا في التعاليم الجديدة ما افتقدوه من جيد السلوك ، ورقي التعامل وحسن المعاملات ، فاشتد إقبالهم على دراستها حبا فيها ، فطارت التعاليم والأفكار الإسلامية بين الهنود ، وأقبلوا عليها ، وعملوا بها .

وظهر التغير جليا في مقاومة الخرافات والغيبيات ، فعارضوا إغراق الأمة فيها ، وحاولوا تغيير مسارها ، وحين فشلوا في لفظها تماما لرسوخها في المجتمع وتمسك العامة بها ، فهذبوها ونمقوها ، وغيروا ما يعارض الدين ، وسخروها لخدمة قصص النصائح والحكم ، فأمكنهم الاستفادة من هذه الغيبيات بطريقة إيجابية فيما يسمى علم "المواعظ "الذي وضع له الكتب والمؤلفات (٧٢)

وقد وصف "البيروني " الهنود -وقد أمضى بينهم سنوات - بالبدائية في السلوك ، وتدني العادات اليومية كالعري في الملبس ، وعدم الاهتمام بنظافة البدن ، وشرب الخمر ، وغريب المآكل والملبس ، وعدم الالتزام بآداب الحديث ، وترك مسئولية العمل للزوجات ، وقضاء الوقت في اللهو والاسترخاء ، وغير ذلك من المظاهر غير المقبولة ، والتي تعجب منها المسلمون ورفضوها كلية لأنها تتعارض مع الدين ، ولا يستذيغها العقل أو المنطق (٧٣)

وفي مقابل ذلك ملك المسلمون قدرا من المظاهر الإسلامية الراقية ، والتي تبدو في الحياة العامة ، والاحتفالات الدينية ، ومشاركة الديانات الأخرى أفراحهم وأحزانهم ، فكان من الطبيعي أن يتأثر الهنود بهذه الأنماط الحضارية ، التي أبهجت حياتهم وغيرت منها (٧٤) وبخاصة أن التأثر أتى من داخل الهند وخارجها ، فقد كثرت الرحلات والتنقلات بينهم وبين باقي البلدان الإسلامية ، وخاصة مع مرور أهم طريقين تجاريين بالهند ، الأول الطريق الذي يربط المشرق الإسلامي بالصين مارا ببخاري وسمرقند وبلاد ما وراء النهر ، والثاني طريق البنجاب العابر من السند والهند إلى المشرق الإسلامي مارا بهضاب أفغانستان وكابل وغزنة (٧٥).

وكان الدين وعلومه هما الرباط الرئيسي بين الهنود المسلمين حيث ساهما في تقوية أواصر الوحدة الاجتماعية لفترات طويلة ، فأدركوا قدرة الإسلام على تخفيف الانحرافات الاجتماعية ، وأقبلوا على العادات الإسلامية من أعياد وحجاب المرأة ، وتقاربت المسافات بين الطبقات بعضها البعض ، وعرفوا لأول مرة حرية الممارسات الاجتماعية والدينية (٧٦) ويذكر أن القرآن ملك قلوبهم وكثيرا ما انقلب حال الإنسان منهم بسبب سماع آيات القرآن حتى يترك ثروته وهي في غاية الوفرة ، ويتصدق بأكثر ماله ، ويعتق عبيده ، ويسيطر عليه السلوك الديني الإسلامي (٧٧)

وتداخلت أدوار العلماء والقضاة ورجال الدين الإسلامي ، فكان لكل منهم دوره الأساسي ، ولكن الهدف العام هو جذب أكبر عدد من هؤلاء الناس للدين الإسلامي وعلومه ، وتركوا في الهند بصمات واضحة ، فأقبل الآلاف على الإسلام وعلومه طواعية ، بعدما دخلوه قسرا وخضوعا لقوة الدولة الغزنوية ، وانتشرت بينهم الدراسات الإسلامية ، وظهر منهم الفقهاء والوعاظ والعلماء ، وعرفوا الصوفية على نطاق واسع ، ولاقت منهم ترحيبا ، وكانوا يميلون إليها بحكم طبيعتهم (٧٨)

وظهر تأثير الدين الإسلامي واضحا في توحيد العبادات والتقارب الديني ، فبعدما كانت الخلافات المذهبية في شبه القارة الهندية قد بلغت أشدها ، فالبرهمية تحارب البوذية والجينية ، والهندوس على خلاف مع المهالكة والانشينية ، ولكل مذهب أصنامه ومعابده وأماكن حجه ، وكل فئة تحاول أن تجد الحجج والبراهين لقمع أصحاب المذاهب الأخرى ، ويلجئون في ذلك لشتى أنواع القمع والتعذيب والترحيل عن الديار والقتل الجماعي ، مما خلق عدم استقرار وخوف دائم على الأرواح والأملاك (٧٩) جاء الدين الإسلامي ووحد من دخل فيه على عبادة واحدة ، وتغير الفكر الديني الخرافي الذي يؤمن بقدرة الأصنام على المعجزات واجتماع الأرواح فيها ، وخلق اتجاهات دينية جديدة عمادها الترابط والوحدة والإيمان بأن الله وحده هو القادر على المنح والعطاء .

وترتب على ما سبق التقارب بين الأفراد الذين عانوا من التفاوت الطبقي في جميع مظاهر الحياة ، حتى في القصاص والعقاب ، فالبراهمة لا يواجهون عقابا حين قتلهم الغير ، ويكفي منهم كفارة الصوم أو الصدقة ، والعكس تماما إذا كان القاتل أو السارق من فئة أخرى ، قد يصل عقابه لسمل العينين (٨٠)

وأدت دراسة العلوم الإسلامية إلى تثبيت الكثير من العادات الهندية القائمة على الخير وكف الشر ، مثل العفو عن المخطيء ، وإيثار الغير على النفس ، ووجوب الصدقة ، وتحريم الربا وأكل الميتة من الحيوانات ، وكفارة الذنوب ، والوفاء للوالدين أحياء وأمواتا ، والتصدق على الأموات ، وغير ذلك من العادات التي تطابقت مع تعاليم الدين الإسلامي (٨١)

وهكذا مثلت العلوم الدينية الإسلامية جانبا هاما في مناهج التعليم في الهند ، لا من حيث عدد المتخصصين أو نوعياتهم ولكن كمؤثر فعال في تغيير أنماط سلوكهم واتجاهاتهم ، وعرف عن المسلمين أنهم كانوا يبذلون جهدا ملحوظا في تنظيم الأمور التعليمية والثقافية أكثر من الجوانب الحياتية الأخرى ، لأن الأولى ترتبط بالدين وعلومه ، ويتبعون في ذلك طريقا صحيحا تماما يعتمد على الاستفادة من الثقافة الأصلية ، والجوانب الإيجابية فيها .

ومما لا شك فيه أن الغزنويين قد لعبوا دورا هاما في هذا الشأن ، حقا أن التجار والفاتحين المسلمين قد سبقوهم في فتح بلاد السند ونشر العلوم الإسلامية بها ، ولكنه كان دورا محدودا تراجع مع ضعف الدولة العباسية ، ولم يبدأ التأثير الإسلامي الفعلي إلا مع الفتح الغزنوي ، حينذاك استفاد الهنود من العلماء ورجال الدين ، ونقلوا عنهم دراساتهم وشغفهم بتلك العلوم ، مما غير الممارسات الاجتماعية ، وساعد على صبغ هذه البلاد بصبغة جديدة فتكونت قومية هندية إسلامية ، تتشكل وفقا للماضي ، ووفقا للدين الإسلامي بطابعه المميز ، ومازال للمسلمين الهنود تأثيرهم حتى يومنا هذا ، وخاصة مع ازدياد أعدادهم بصورة كبيرة عن ذي قبل .

خامسا تأثير المناخ التعليمي على حركة التعليم :

أحاط بالتعليم في القرن الثالث والرابع الهجريين مناخ تعليمي جيد أثر بشدة في حركة التعليم في البلاد الإسلامية عامة وبيئة الدراسة بخاصة ، فلم تكن تلك الفترة مجرد أحداث سياسية وحربية ، وإنما تغير فكري وثقافي عميق ، دل على مدى النضج العلمي ، الذي ظهر في مظاهر متعددة تقوم على النقد والمقارنة والقياس ، حتى العلوم النقلية أخذت أيضا طابعا علميا سليما ، وظهرت فيها مدارس جديدة اختلفت تبعا لبيئتها ومصدرها ، ولكنها تلاحمت وأثمرت .

وتمثلت هذه الإيجابية في تجاوز التعليم الحدود الجغرافية والموضوعية المعروفة له من قبل ، وامتد إلي بيئات جديدة ، فدأب المسلمون على دراسة جغرافية المكان ، وتبادل الخبرات والتجارب ، والتقت الاتجاهات المتباينة ، فاستفاد كل عالم من الميراث العلمي للآخرين ، وسلكوا في ذلك كل مسلك مثل اللقاءات العلمية ، والاختلاط ببعضهم البعض ، وتعلم لغات عديدة ، ومجالسة الفقهاء والعلماء والقضاة ، وغير ذلك .

وأدى ذلك إلي إعادة الاتصال العلمي والثقافي بين شبه القارة الهندية ، وباقي بلدان العالم الإسلامي التي كانت في قمة ازدهارها ، فانتقلت الهجرات العلمية من الهند وإليها ، منها لدراسة العلوم الدينية ، وإليها لدراسة الرياضيات والطب الذي كان في قمة ازدهاره بحثا وتحقيقا وتطبيقا وعقاقير (٨٢)

وكانت الترجمة عاملا هاما دفع بالمناخ التعليمي إلـي النشـاط واليقظـة ، وأهم مـا فيـها أنـها تحولت من عملية فردية إلى ظاهرة يحيطـها الحكـام بالرعايـة والتشـجيع الأدبـي والمـادي ، وأنفقـوا عليها بسخاء ، ولمس المتعلمون هذا الاتجاه فـاقبلوا عليـها ، ولـم يـتركوا فرعـا مـن فـروع العلـم إلا وتناولوه بالترجمة (٨٣) ولم ينته القرن الثالث إلا وحركة الترجمة قـد اكتملـت واسـتوت ، وقطـف المسلمون ثمارها ، حتى أنه لم يعد هناك فروق كبيرة بين الأقاليم العربية من الـدول العباسـية وكـان عددها ستة أقاليم ، والأعجمية وكانت ثمانية أقاليم (٨٤)

وظهر جيل جديد من العلماء أضاف مناخا علميا جيدا ، ويطلق عليه جيل المولديـن ، لأنـهم يحملون ثقافة ولغات ثلاثا هي العربية لغة الدين ، والفارسية لغة الثقافـة ، والهنديـة اللغـة الأصليـة ، وأطنب العلماء في وصف تأثير هؤلاء المولدين ، وكيف تكيفوا مع جميع الاتجاهات ، وتعايشوا مـع غيرهم من العلماء ، ولهث الجميع طلبا للعلم ، لا يمنعهم جنس ولا مذهب ولا لغة .

ويذكر في هذا الصدد طبيعة الحكـام الغزنوييـن ونوعيتـهم ، فقد كـانوا مـن خراسـان ، ولـم يتخلوا عن الفارسية ولكنهم تخلوا عن التعصب للجنس ، فشجعوا جميـع العلمـاء والأدبـاء والشـعراء وأجزلوا لهم العطاء ، حتى صـارت "غزنـة "أو "لاهور "سقرا لرجال الدين والعلمـاء ، وبخاصـة أنهم أنفقوا على تعمير هذه العواصم الكثير من الأمـوال ، وأقـاموا بـها القصـور والمسـاجد والمبـاني الفخمة ، فأصبحت مدنا شديدة الجذب .

ويروى عن "محمود الغزنوي "خاصـة أنـه كـان بليغـا يجمـع نـاصيتي الأدب والتـاريخ فـي اللغتين العربية والفارسية ، ويربط بين التعليم وسـلوك الإنسـان ، ويـروى أنـه حيـن هـزم البويـهيين وأدخل عليه "مجد الدولة البويهي "الذي عرف عنه حب القراءة مع اللهو والعبث ، سـأله السـلطان "محمود "هل قرأت تاريخ الطبري ؟ قال نعم .فسأله ثانية هـل قـرأت الشـاهنامة للفردوسـي ؟ قـال نعم ، فوبخه السلطان محمود قائلا .ما حالك حال من قرأهما .ويقصـد بذلـك أن القـاريء الجيد يقظ يدرك مواعظ التاريخ ، ويستفيد من أحداثه ، وإلا فلا فائدة من القراءة (٨٥)

ودأب "محمود الغزنوي "على استقطاب العلماء والاستزادة منهم ، لذا كان يرسل إلى بلاط "خوارزم شـاه "يطلـب منـه أن يسـدوا لـه خدمـة بإرسـال مـن لديـهم مـن علمـاء وأدبـاء ، فلـم يجـد الخوارزميون بدا من الاستجابة لطلبه خوفا من قوته وسلطته ، وواتتـه الفرصـة نفسـها حيـن أسـقط الدولة البويهية والسامانية فنقل إلي دولته من كان فيها من علماء وأدباء (٨٦) وسـار بـاقي الحكـام الغزنويين على النهج نفسه ، حيث ضم بلاطـهم نخبـة كبـيرة مـن العلمـاء والشـعراء ، وشـاع المـدح الذي يشير في جانب إلى سطوة الحاكم وجبروته ، وفي جانب آخر إلـي نهضـة أدبيـة عامـة ، وإلـى رعاية الأمراء والحكام للأدب .

ويشير التشابه بين الأدب العربي والهندي إلى التأثر بذلك النشاط العلمي السائد آنذاك ومع أن الهنود المسلمين لم يعبروا عن أدبهم بالعربية إلا في حالات نادرة ، فقد رصد المتخصصون مجالات تشابه كبيرة بين الأدبين ، في علم البلاغة بأجزائه الثلاثة :المعاني والبيان والبديع ، وكذا في الصور الجمالية من تشبيه واستعارة وكناية ، بل امتد التقارب أيضا إلي الموضوعات الأدبية المفضلة ، وإجادة فن المنظوم والمنثور (٨٧)

ومن سمات هذا العصر الاهتمام الشديد بالحكمة والأخلاق ، حتى صار فنا تنافس فيه الهنود والعرب والفرس ، وصعب تحديد أي منهم سبق الآخر في هذا المجال ، ويتناول هذا العلم الأخلاق والملكات والنفس وصفاتها ، وأنواع الفضائل والرذائل ، وكيف تتحلى النفس بالأولى وتتخلى عن الثانية ، وكثرت المؤلفات باللغتين العربية والهندية ، فنجد كتاب "أكبر والإثم "لإبن سينا ، و "الفوز "لإبن مسكوية ، و "الاخلاق "للرازي ، و "الاخلاق "للطوسي ، و "الاخلاق " للديواني ، ونجد بالهندية "كليلة ودمنة "و "أدب الهند والصين "وكتاب "هابل "في الحكمة وكتاب "ديك الهندي "وكتاب "حدود منطق الهند "وغيرهما كثر .وكانت الحكمة والأسمار الهندية أقرب لأذواق العرب عن غيرها ، وتحتوي على الأمثال والعبر التي يقبل عليها العرب بشغف (٨٨)

وكانت الفلسفة أيضا أحد العلوم التي أشاعت جوا علميا يقظا ، وعرفها الهنود قبل دخولهم الإسلام بفترات طويلة ، بينما كان العرب أصحاب " لسن " لا أهل فلسفة ، لذا استفادوا من الفلسفة الهندية ، وأضافوا إليها حتى برع الجنسان فيها ، ولم يأت ذلك مصادفة ، ولكن نتيجة للحركة الفكرية ، التي أتاحت مناهل العلم والمعرفة ، وتركت بصماتها وملامحها (٨٩)

وشاع في تلك الفترة الرحلات العلمية والدينية ، حتى ظهرت فيها المؤلفات والدراسات ، وبخاصة ما ألف في رحلة الحج وزيارة الحرميين الشريفيين وبيت المقدس ، وكان "البيروني " أكثر العلماء تنقلا ، وصاحب السلطان "محمود "في معظم غزواته ، وقضى حياته متنقلا بين الولايات الإسلامية والهندية ، يترجم ويقارن ، ويدرس الأوضاع الاجتماعية في بلاد الهند ، وألف عنها الكثير من الكتب التي لا تزال مرجعا لكل دارس ، منها "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة " وكتاب " تاريخ الهند " وكتاب " الجماهر في الجواهر " وكتاب "القانون المسعودي " (٩٠)

وتسمى تلك الفترة العلمية بعصر البيروني ، فقد ظل لفترات طويلة يتواصل مع علماء الهند ، ويعقد المجالس العلمية لتبادل الآراء ، وأخضع الكتب المترجمة عن الهند للتحقيق والنقد العلمي ، وجمعها في كتاب واحد اسماه "جوامع الموجود بخواطر الهنود "(٩١)عده العلماء أعظم شخصية

علمية عاشت في تلك الفترة ، مع أنه عاصر العديد من العلماء كل منهم الأشهر في مجاله ، مثل الرياضي " ابن يونس " ، و " الحسن بن الهيثم " ، و " الشيخ ابن سينا "، و "أبو سهل بن عيسى " ، ولكن البيروني كان أسبق منهم جميعا ، بما تضمنه فكره من جدة وحداثة وموضوعية ودقة تفكير ، وتنوع المصادر وتعدد اللغات ، وقيل :إنه أعظم علماء الحضارة الإسلامية قاطبة ، وترجمت معظم كتبه للغات الأخرى ، وأطلقت روسيا اسمه على إحدي جامعاتها الحديثة ، وأصدرت اليونسكو والجامعات الأمريكية والألمانية فهارس بأعماله (٩٢)

وختام القول أن هذا المناخ اليقظ ترك آثارا واضحة على التعليم في ولايات الهند الإسلامية ، فقد عاش العالم الإسلامي بأكمله حالة نشاط علمي ، وانتقل العلماء من مشرقه إلي مغربه يتمتعون بالأمن والحرية ، وذاع صيت هؤلاء العلماء ، وتباهى كل إقليم بعلمائه ، وتغنوا بإنجازاتهم ، وتخطوا الحواجز الثقافية واللغوية ، وتجاوزا العرق والجنس والمذهب الديني ، ودخل المولدون كطاقة جديدة في التعليم عند المسلمين ، لا يقنعون بثقافة أو لغة واحدة وملكوا رغبة متعطشة إلى المعرفة ، وأقبلوا على العلوم العقلية والدينية على السواء ، فكانوا بمثابة روافد جديدة تغذي الصرح العلمي الإسلامي .

وكان للحكام الغزنويين -شأنهم شأن غيرهم -دور هام في توفير هذا المناخ ، حيث ساندوا وشجعوا العلماء والأدباء والمتعلمين ، وفتحوا الطريق أمام الهنود للوظائف ، فأقبلوا على التعليم والتأليف والبحث ، وظهر صدى النشاط العلمي في الولايات الهندية عامة ، وفي البلاط الغزنوي خاصة ، وبوجه عام نشطت ملكات البحث ، واتسعت آفاقه ، وبخاصة مع نشاط الترجمة بين اللغة الهندية وغيرها بعد ما سبقتها الفارسية واليونانية .

خلاصة الدراسة

احتلت بلاد الهند أهمية خاصة للمسلمين منذ فتح العرب السند ،"باكستان الحالية"في عهد الوليد بن عبد الملك ، فأصبحوا بذلك ملاصقين تماما لبلاد الهند ، وارتحل لهذه البلاد العديد من العلماء وأهل البيت هربا من الأمويين ، وتتابع هؤلاء حاملين معهم الثقافة والعلوم الإسلامية ، وتناسلوا وانتقلوا من منطقة إلى أخرى ، وكونوا أسرا وعائلات .

إلا أن الاتصال الفعلي بين المسلمين والهنود لم يتحقق بصورة فعالة إلا في عهد الدولة الغزنوية التي كانت إحدى الدول المستقلة عن العباسيين ، وانتقل الغزنويين بالهند إلي عهد جديد ، تغير فيه تاريخها عامة وتاريخ التعليم خاصة ، فقد تحول من المركزية في بغداد والعراق العجمي

وخراسان إلى تلك الولايات الهندية ، فوصل تأثير الثقافة والعلم الإسلامي إلى شمال غرب الهند ، وبخاصة مع حالة الاستقرار التي تبعت الفتوحات الغزنوية .

واكتملت الحركة التعليمية في ولايات الهند في عهد " محمود الغزنوي " وباقي سلفه من الحكام الذين انتقلوا بعاصمتهم إلى " لاهور " فنمت حركة العلم والتعليم على يد الأجيال المتعاقبة ، حيث امتد حكم الغزنويين فترة طويلة ، وكان لها أثر واضح في تاريخ التعليم الإسلامي ، فلأول مرة تتكون دولة إسلامية هندية كبيرة العدد ، شاسعة المساحة ، متعددة الروافد اجتماعيا وثقافيا وعلميا .

وصبغت الفتوحات الغزنوية بالصبغة الإسلامية وسيطر على " محمود الغزنوي " حمية دينية طاغية ، فأعلن حربا لا رحمة فيها على الهندوكية وتراثها وأوثانها ومؤسساتها الدينية . ولكنه لم يتبع ذلك في مجال التعليم ، بل حاول جاهدا أن يستفيد المسلمون من علوم الهند ، وأن تتداخل الثقافتان ، ففتح الطريق أمام أجيال متعاقبة من المتعلمين الذين جنوا ثمار تلك الفترة ، وخرجت أعمالهم شاهدة عليها ، وبقيت آثارهم العلمية والفكرية حتى الغزو المغولي لتلك البلاد .

ومع هذا النشاط التعليمي لم يعرف للتعليم مراكز معلومة ، ولم ينشيء الغزنويون بالهند مدارس ولا معاهد علمية ، بل اتبعوا ما سبقهم في التعليم بالمساجد والقصور والمنازل ، لذا أمكننا أن نطلق عليها مراكز مفتوحة للتعليم ، وقد كانت المساجد في مقدمتها حيث أنفقوا عليها بسخاء ، بناء وتعميراً وتجديداً وصدقات على المتعلمين ، وظلت هذه المساجد صامدة تشهد على نهضتهم حتى الغزو الانجليزي لتلك الولايات الهندية الإسلامية .

وانحصرت المناهج في تلك الفترة في فرعين أساسين هما العلوم العقلية والعلوم النقلية ، حيث دأب الغزنويين على الاستفادة من علوم الثقافات المحيطة بهم وهي العربية والفارسية والهندية ، واهتموا بالعلوم الإسلامية ، فتطورت حياة الهنود المسلمين وتغيرت طبائعهم وعاداتهم ، وأضافت لحياتهم رافدا جديدا ، فالتحق بالتعليم الإسلامي ملايين الهنود ، واندمجوا فيه وشكلوا قوة إسلامية مؤثرة حتى يومنا الحالي .

أما العلوم العقلية فقد امتازت حركتها بالسرعة والتجديد لأنها كانت راسخة القواعد في الهند التي كانت إحدي الأمم الأربع البارعة في هذا المجال ، وكان لها جامعات متخصصة في دراسة الطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم بين الهنود والعرب ، وظهرت الكتب القيمة في شتى التخصصات الطبيعية ، وبخاصة مع النهضة العلمية التي عمت أرجاء العالم الإسلامي ، وكان دخول الهند كرافد جديد عاملاً مساعداً لنضج تلك العلوم ، وفتح الآفاق أمام المزيد من إنجازات العلماء المسلمين .

وعلى الرغم من انتشار دراسة العلوم الإسلامية إلا أن اللغة العربية لم تجد مكانا في تلك البلاد ، لا كلغة تعليم ولا كلغة حديث ، فقد كان الهنود معجبين بأنفسهم ولغتهم ، يعتقدون أن علومهم وعلمائهم أفضل ما في الأرض . لذا تمسكوا بالسنسكريتية كلغة للتعليم ، ثم نافستها الفارسية لغة الحضارة آنذاك ، والتي تواجدت بالهند منذ أمد بعيد بحكم الجوار . هنا تراجعت العربية ، ولم تأخذ مكانتها التي حصلت عليها في باقي الولايات الإسلامية ، وظلت الترجمة وسيلة بين العرب والهنود ، وكانت الكتب تترجم من السنسكريتية إلى الفارسية ومنها إلى العربية ، وبخاصة كتب الرياضيات والفلك والطب . إلى أن ظهر جيل جديد من العلماء المولدين الذين أتقنوا العربية وكتبوا بها ، وخاصة في العلوم الإسلامية .

وساعد على نشاط الحركة التعليمية جو سياسي معتدل ، حيث اتبع الغزنويين سياسة ساعدت على انتشار التعليم وذلك بفتح الوظائف صغيرة وكبيرة أمام الهنود ، ودمج الشعوب الثلاث عربا وفرسا وهنودا في ثقافة إسلامية واحدة ، فأقبل الهنود على التعليم طلبا للوظائف أو تقربا من الحكام . كما قدموا كل عون وتشجيع يثمر إنتاجا علميا ونشاطا أدبيا ، واستقطبوا العلماء والشعراء ، وساعدت الظروف الاقتصادية على ذلك ، فقد نشطت التجارة وازدهرت ، وعبدت الطرق ، وأصبح السفر آمنا في شتى أنحاء البلاد قاطبة ، فانتقل العلماء برا وبحرا ، وتبادلوا اتجاهات تعليمية جديدة ، ومزجت الثقافات والأجناس ، وتلازمت الدراسات إسلامية وطبيعية وإنسانية .

ومن المهم أن نوضح أن الفكر والثقافة في تلك البلاد لم يكن إسلاميا خالصا ، ولكنه حمل ما يسمى بالسمات " الطورانية " أي الإسلامية الأفغانية الفارسية التركية ، فقد لعبت هذه الأجناس جميعا دورا متداخلا في تكوين الثقافة الإسلامية بالهند ، وكانوا منبعا لتدفق التيار الإسلامي لتلك البلاد ، وانتهج الهنود نفس نهجهم الفكري والعلمي والديني ، وامتزجت التقاليد الثقافية العتيقة لتلك الشعوب بالثقافة الهندية ، فتولدت حياة علمية جديدة اتسمت بالقوة والرسوخ .

ومما يذكر أن هذه الفترة شهدت نهضة علمية تغيرت فيها الاهتمامات ، ودخلت تخصصات جديدة غير معروفة من قبل ، مثل علم مقارنة الأديان ، وعلم الإلهيات ، وفروع عديدة للعلوم الطبيعية ، وبخاصة الرياضيات والفلك والطب . حقا إن التغيير لم يكن جذريا ، ولكنها الأفكار الجديدة ، والابتكار المطلوب ، والدليل اليقين على تأثير الثقافة الإسلامية في الشعوب الوافدة إليها .

وكان من المتوقع أن تحتل هذه الولايات الهندية تأثيرا أكبر في مجال التعليم لولا زوال الدولة الغزنوية على يد الغور ، فقد جرت العادة والأحداث السياسية على أن تزيل كل دولة مستقلة عن العباسيين ماقبلها ، مثلما فعل الغزنويين مع آل بويه والسامانيين ، ثم جاء السلاحقة ليقضوا على

الجميع ويهددوا الدولة الخوارزمية ، وهكذا دواليك . إلى أن جاء الغزو المغولي فقضى على هذه الدول جميعها ، ومحا ما تبقى من حضارتها ، حتى المدن الإسلامية الشهيرة في مجال التعليم مثل " بخاري " و " سمرقند " و " نيسابور " و " الري " و " مرو " وغيرها تهدمت معالمها وتغيرت معظم مسمياتها حتى وقتنا الحالي .

الهوامــــش والمراجـــــــع

1 - Haig . W , **History Of India** , London , Cambridg 1928, p 15

٢- العتبي ، ابو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي ، **تاريخ اليميني** ، القاهرة ، بد .ن ، ١٣٨٦هـ ج١ ص ٥٧

٣- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود القزوينـــي ، **آثـار البـلاد وأخبـار العبـاد** ، بيروت ، دار صادر ، بد .ت ص ، ٤٢٨

٤- محمد عبد المجيد العبد ، **الإسلام والدول الإسـلامية فـي الـهند** ، القـاهرة ، مطبعــــة غرائب ، ١٩٣٩م ، ص ٥

٥- ابن الجوزي ، أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، بيروت ،دار الكتب العلمية ، بد .ت ، ج ٢ ، ص ٣٩

٦- الحموي ، ياقوت بن عبد الله الحموي ، **معجم البلدان** ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠م ج ٤ ، ص ٢٢٨

٧- عصام الدين عبد الرءوف الفقي ، **بلاد الهند في العصر الأسلامي** ، القاهرة ، دار الفكر العربـي ، ١٩٩٦ ، ص ٣٠ ـص ٣٢

٨- ابن الأثير ، **الكامل في التاريـخ** ، بيـروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٠، ج ٩ ، ص ١٧٢- ص ١٨٢

9 - Schimmel , Annem Arie , **Islam in india and Pakistan** , Leiden ,E . J . brili , 1982 , p 32

10 - Nicholson , A . Reynold , **Literay history of arabs** , London , Combridge , 1930 , p 29

١١- عصام الدين عبد الرءوف ، مرجع سابق ، ص ٢٢ - ص ٣٢

١٢- كي لسترنج ، **بلدان الخلافة الشرقية** ، ترجمـة بشير فرنسيس ,كوركيس عـواد ، بغداد ، مطبعة الرابطة ، ١٩٥٤ ، ص ٣٧٣

١٣- حسن أحمد محمود ، أحمد ابراهيم الشريف ، **العالم الإسلامي في العصر العباسي** ، القـاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٥ ، ص ٣٦٧

١٤- ابن خلجان ، **أبي العباس** شمس الدين ابن حلجان ، **وفيات الأعيان** ، بيـــروت ، دار صادر ، بد .ت ، ج ٥ ، ص ١٧٥ - ص ١٨٢

١٥-مسكوية ، أبي علي أحمد بن مسكوية ، **تجارب الأمم** ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، بد .ت ج ٣ ، ص ٢١٦

١٦- محمد الخضري ، **الدولة العباسية** ، بيـــروت ، دار المعرفـــة ١٩٩٧ ، ط ٣ ، صفحـات متفرقة .

١٧- محمد زيان عمر ، **البحـث العلمـي مناهجـه وتقنياتـه** ، جدة ، دار الشـروق ، ١٩٩٣ ، ص ١٧٤

١٨-حنان عيسى ، غانم سعيد شريف ، **أساسيات البحث العلمي بين النظرية والتطبيق** ، الرياض ، دار العلوم ، ١٩٩٤ ، ص ٤٢

١٩- محمد عبد المجيد العبد ،مرجع سابق ، ص ١٨ .

20 - Ahmed . S . M , **Islam in india and the middle east** , London Abbas manzil libbary , 1952 , p 172

٢٠- حسن أحمد محمود ، الإسلام في آسيا الوسطى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ١٩٧٢، ص ١٨

٢٢- عبد الله مبشر الطرازي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب ، جده ، عالم المعرفة ، ١٩٨٣، ج ١ ، صفحات متفرقة

٢٣- أحمد شوقي ابراهيم ، **الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي** ، رسالة دكتوراة ، كلية الأداب ، جامعة المنيا ، ١٩٩١ ، ص ٨٦

٢٤- **القزويني** ، مرجع سابق ، ص ٩٦

انظر أيضا ، **ابن الأثير** ، مرجع سابق ، ج 9، ص - 115ص 118

٢٥- **البيهقي** ، أبو الفضل البيهقي ، **تاريخ البيهقي** ، ترجمة يحي الخشاب وصادق نشأت ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٢ ، ص ٣١٧

٢٦-السيوطي ، **جلال الدين السيوطي** ، **تاريخ الخلفاء** ، القاهرة ، **دار الفكر العزبي** ، بد .ت ص ٤٨٤

27 - Jafar , Sharif , **Islam in india** , Dublin , Curzon press 1972 , p 39

28 - Troll , W . Christian , Edit , **Islam in india ,** studies and commentaries , New delhi , Vikas puplishing house 1889 , p 112

٢٩-البيروني ، أبو ريحان البيروني ، **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة** ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٥٨ ، ص ١٨٤

٣٠- أبو الفضل البيهقي ، مرجع سابق ، ص ٤٦

31 - Hooker , M . B , Edit , **Islam in south - east asia** , Leiden , E . J Brill , 1988 , p 71

32 - Abid , S . Husain , **The desting of indian muslims** , London , Asia publishing house , 1965 , p 14

٣٣-أحمد أمين ، **ظهر الإسلام** ، القاهرة ، دار النهضة المصرية ، ١٩٩٩ ، ج ١ ، ص ٢٨٥285

٣٤- جوستاف أ .فون .جرونيباوم ، **حضارة الإسلام** ، ترجمة عبد العزيز جاويد وآخرون ، القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٥٦ ، ص ٩٢

٣٥- حسن أحمد محمود ، مرجع سابق ، ص ٢٧٤

٣٦- البيهقي ، مرجع سابق ، صفحات متفرقة

٣٧- شريف بكر عبد الخالق ، **الأوضاع العلمية والتعليمية في عهد بني بويه والسلاجقة** ، رسالة دكتوراه ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٠ ، ص ٦٤

٣٨-ابن النديم ، **الفهرست** ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٩٤ ، ص ٣٠٢ ، ص ٣٧٠

أنظر أيضا عبد الله مبشر الطرازي ، مرجع سابق ، صفحات متفرقة

٣٩- عبد الحي الحسين ، **الثقافة الإسلامية في الهند** ، دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٥٨ ، ص ١٩ - ص ٣٩

40 - Esposlto , John . L . , Edit , **Islam in asia** , religion politics and society , London , Oxford university press 1987 , p 125

-أنظر أيضا ، حسن أحمد محمود ، أحمد أبراهيم الشريف ، **مرجع سابق** ص ٣٧٤

٤١- عبد الله مبشر الطرازي ، مرجع سابق ، ص ٣٤٢

٤٢- السيوطي ، مرجع سابق ، ص ٣٢٨

43 - Polonstay , Ludmila , and Malasheko , Alexei , **Islam in central asia** , London Ithaca press 1994 , p 49 - 51

٤٤- عبد العزيز عبد الله سالم ، **جماعة كتاب الدواوين وأثرهم في الحياتين السياسية والفكرية في الدولة العباسية وحتى نهاية القرن الرابع الهجري** ، رسالة دكتوراة ، كلية البنات ، جامعة عين

شمس ، ١٩٨٦ ، ص ٨٦

٤٥- العتيبي ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٩١

أنظر أيضا ، شريف بكر عبد المنعم ، مرجع سابق ، ص ٧٥

٤٦- محمد عبد المجيد العبد ، مرجع سابق ، ص ١٩٨

47 - Hooker , M . B ,op . cit , p 43

٤٨- آدم متز ، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، بد ت ، ط ٥ ، ج ٢ ، ص ١٢٤ - ص ١٢٥

49 - Jafar sharif , op . cit , p 199

أنظر أيضا ، عصام الدين عبد الرعوف الفقي ، مرجع سابق ، صفحات متفرقة

٥٠- محمد جمال الدين سرور ، **تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق** ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٥ ، ص ٢١١

٥١- البيروني ، مرجع سابق ، ص ١٣٣

٥٢- محمد جمال الدين سرور ، مرجع سابق ، ص ١٣٥

٥٣-آدم متز ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٦ - ص ٣٦٧

٥٤- حسن أحمد محمود ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣

٥٥- أ . ج . أربري ، **تراث فارس** ، ترجمة محمد كفافي وآخرون ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٩ ، ص ٨٩

٥٦- البيروني ، مرجع سابق ، ص ١١٧ - ص ١٢٠

٥٧- عبد الحي الحسيني ، مرجع سابق ، ص ٢٨٠ - ص ٢٨٢

٥٨ -نفس المرجع ، ص ٢٦٩

٥٩ -أحمد أمين ، **ضحى الإسلام** ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ ، ص ٢٥٤

٦٠- حسن ابراهيم حسن ، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي** ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥ ، ج ٣ ، ص ٣٥٣

٦١ -عبد الحي الحسيني ، مرجع سابق ، ص ٢٩٥ - ص ٢٩٨

٦٢ -البيروني ، مرجع سابق ، ص ١٩

أقرأ أيضا ، عصام الدين عبد الرعوف ، مرجع سابق ، ص ٢٥٦

٦٣ -مذاهب عبد الفتاح ، **الحياة السياسية ومظاهرها الحضارية في الدولة السلجوقية** ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ١٤

٦٤ -المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسن المسعودي ، **مروج الذهب و معادن الجوهر** ، القاهــرة ، مكتبة العادن ، ١٩٦٥ ، ج ١ ، ص ٢٦٣

65 - Havell .J , **The history of aryan rule in india** , London , Abbas manzil library , 1956 , p 254

٦٦ -ادوارد براون ، **تاريخ الأدب في إيران** ، ترجمة ابراهيم أمين الشواربي ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٤ ، ص ١٣٢

٦٧ -العتبي ، مرجع سابق ، ص ٢٦٨

٦٨ -عصام الدين عبد الرءوف الفقي ، مرجع سابق ، ص ٢٥٦

٦٩ -عبد الحي الحسيني ، مرجع سابق ، ص ٩ - ص ١٢

٧٠ -نفس المرجع ، ص ٩٠ - ص ٩١

71 - Smith , Wilf red cantwell , **Islam in modern history** , New jersey , Princeton university press , 1957 , p 21

٧٢ -ابن النديم ، مرجع سابق ، ص ٢٧٠

٧٣ -البيروني ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ - ص ١٤٦

٧٤ -آدم متز ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٢

٧٥ -محمد جمال الدين سرور ، مرجع سابق ، ص ١٤٩ - ص ١٥٠

٧٦ -جوستاف أ .فون .جرونيبام ، مرجع سابق ، ص ٤٠٨

٧٧ -آدم متز ، مرجع سابق ، ص ٨٦ - ص ٨٧

٧٨ -حسن أحمد محمود ، مرجع سابق ، ص ٢٦٩

٧٩ -عبد الله مبشر الطرازي ، مرجع سابق ، ص ٣٣٩

٨٠ -البيروني ، مرجع سابق ، ص ٤٧٥

٨١ -البيهقي ، مرجع سابق ، صفحات متفرقة

انظر أيضا البيروني ، مرجع سابق ، ص ٤٧٤ - ص ٤٧٧

82 - Abid . S . husain , op . Cit , P 34

٨٣ -أبن النديم ، مرجع سابق ، ص ٢٤٥

٨٤ -مسكوية ، مرجع سابق ، ص ٢١٤

٨٥ -حسن ابراهيم حسن ، مرجع سابق ، ص ٨٩

٨٦ -ادوارد براون ، مرجع سابق ، ص ٢٨٤

٨٧ -عبد الحي الحسيني ، مرجع سابق ، ص ١٤٧

٨٨ -أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٤٥

٨٩ -حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف ، مرجع سابق ، ص ٢١٦

٩٠ -أحمد امين ، ظهر الإسلام ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢٨٧

٩١ -عبد الله مبشر الطرازي ، مرجع سابق ، ص ٢٨٧

٩٢ -عصام الدين عبد الرءوف الفقي ، مرجع سابق ، ص ٢٧٩